



جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة



آليات الاتساق والانسجام في قصيدة "مذكرات إبريق" لمحمد عفيفي مطر

عائشه توفيق الغواهمة⁽¹⁾

تاريخ القبول: 2025-02-10

تاريخ الإستلام: 2024-10-01

ملخص البحث:

تروم الدراسة الكشف عن آليات الاتساق والانسجام في قصيدة "مذكرات إبريق"، وفق معايير "نحو النص" التي وضعها هاليداي ورؤية حسن و"دي بوجراند ودريسلر" في النهج التحليلي، فالجمع بينها يضاعف من تفصي الدلائل والمعاني المثبتة في ثنايا النص، وقد نهض ببعض أسس أو مبادئ المنهج التفكيكي الأولي أيضا.

وجاءت على قسمين: الأول نظري، وفيه حديث عن مفهوم نحو النص ونشأته وأهميته، ثم التعريف بمعاييرها، فالشاعر ومناسبة القصيدة. والآخر تطبيقي، يكشف عما عمد إليه عفيفي من آليات الاتساق في البنية التركيبية، والانسجام في البنية المعجمية، وأثرهما على المنلقي.

وتتمثل أهميتها من الجدة في موضوعها، إذ لم تُبحث أو تُقرأ قبلاً على أي منهج، لا سيما مع وصف بعض النقاد قصائد الشاعر بتوغير الألفاظ، فقد كشف التحليل عن كثرة استخدام الضمائر المتصلة؛ اقتصاداً وإحالة قبلية على ما سبق، وتكرار الحروف والظروف والألفاظ انسجاماً مع دلالة يريد إيصالها، زيادة على التأسيس لنوع خاص من العلاقات الضدية لا يلبث ويتفق مع غايته.

الكلمات الدالة: محمد عفيفي، مذكرات إبريق، نحو النص.

(1) كلية الآداب - الجامعة الهاشمية (الزرقاء - الأردن)

المقدمة

باسم الله الذي يُبَنِّزُ دُونَهُ الْكَلَامَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ شَاءَ الْإِفْتِتَاحُ إِلَّا بِذِكْرِهِ خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ. وَبَعْدُ:

تَقُومُ الدَّرَاسَةُ عَلَى تَحْلِيلِ قَصِيدَةِ الشَّاعِرِ مُحَمَّدِ عَفِيفِي مَطْرَ، الَّذِي بَلَّغَتْ بِرَاعَتِهِ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْمَاضِي مِنْ مِصْرَ، فَجَعَلَهَا تَنْبِيْهًا وَتَذْكِيرًا لِلْعَافِلِينَ عَنِ الظُّلْمِ وَذَوِيهِ مِنْ أبنَاءِ أُمَّتِهِ، مَوْضِعًا عَاقِبَةً الْأَمْرِ فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ، بِالْإِتْكَآءِ عَلَى الْمَوْرُوثِ الثَّقَافِيِّ وَالدِّينِيِّ وَالْعَرَبِيِّ. وَتَتَجَلَّى أَهْمِيَّتُهَا فِي الْجِدَّةِ التَّحْلِيلِيَّةِ، إِذْ لَمْ تُمَسَّ "مُذَكَّرَاتُ إِبْرِيْقٍ" بِالتَّحْلِيلِ عَلَى أَيِّ مَنَهِجٍ أَوْ قِرَاءَةٍ نَقْدِيَّةٍ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِتَأْسِيسِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَجَازِيِّ فِي مُصْطَلَحَاتِ الشَّاعِرِ، فَهُوَ لَا يَوْقِفُ عِنْدَمَا عَرَفَهُ الْعَرَبُ فِي الشُّعْرِ مِنْ تَشْبِيْهَاتٍ، بَلْ يَتَّخِذُ مِنَ الْأَلْفَاطِ بَعْدَ آخِرِ يَنْسَجُمُ مَعَ الدَّلَالَةِ بَعْدَ طَوْلِ نَظَرٍ وَتَأْمُلٍ

وَقَدْ اتَّخَذَتِ الْمَنَهِجُ التَّحْلِيلِيَّ التَّفَكِّيكيَّ فِي إِعَادَةِ بِنَاءِ الدَّلَالَةِ أَوْ رَصْفِ الْمَعَانِي سَيْرًا عَلَى خَطَى مَعَايِيرِ "نَحْوِ النَّصِّ" فِي التَّحْلِيلِ، الَّتِي وَضَعَهَا "هَالِيْدَاي رُقِيَّةُ حَسَنٌ"، فَتَلْتَمِسُ الْخُصُورَ وَالْغِيَابَ وَالْمَعَانِي الْمُطْلَقَةَ، لَكِنْ دُونَ تَغْيِيبِ الْمَوْلَفِ، فَتَنْتَهِجُ -إِنْ- الْمُرَآجَعَةَ بَيْنَ الْمَعْنَى الْمَعْجَمِيِّ لِلتَّفَكِّيكيَّةِ وَأَسَسِ نَحْوِ النَّصِّ، مَعَ الْأَخْذِ أَيْضًا، بِمَا وَضَعَهُ "دِي بُوْجْرَانْدُ وَدْرِيسَلَرُ" مِنَ الْمَقْبُولِيَّةِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ وَالتَّنَاصِ، خِدْمَةً لِلنَّصِّ وَسَعِيًا لِإِسْتِجْلَاءِ مَعَانِيهِ وَمَقَاصِدِهِ، إِذْ تَتَضَافَرُ جَمِيعُهَا لِلْإِجَابَةِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

1. كَيْفَ حَقَّقَتِ الْمَعَايِيرُ النَّصِّيَّةُ الْأَتْسَاقَ وَالْإِنْسِجَامَ فِي النَّصِّ؟

2. كَيْفَ أَثَّرَ الْمَنْحَى التَّأْسِيسِيَّ لِلْأَلْفَاطِ عَلَى الْإِنْسِجَامِ؟

3. مَا الْمَعَايِيرُ الَّتِي اتَّكَأَ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ فِي إِعْلَانِ مَوْقِفِهِ؟

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْمَقَالَاتِ وَالْأَبْحَاطِ فِي الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ عَنِ مُحَمَّدِ عَفِيفِي؛ فَإِنَّ مُعْظَمَ قِصَاصِيْدِهِ مَا زَالَتْ تُدْرَسُ فِي إِطَارِ دَوَائِبِهَا، مِنْهَا؛ "فِيضُ الدَّلَالَةِ وَغَمُوضُ الْمَعْنَى فِي شِعْرِ مُحَمَّدِ عَفِيفِي مَطْرَ" لِفْرِيَالِ جِبُورِي غَزُولِ، نُشِرَتْ فِي الْعَدَدِ الثَّلَاثِ مِنَ الْمَجَلِّدِ الرَّابِعِ لِمَجَلَّةِ فِصُولِ عَامِ 1984، وَفِيهَا تُحَدِّثُ عَنِ الْغَمُوضِ الْمَفْرُطِ الَّذِي أَلْفَهُ عَفِيفِي فِي قِصَاصِيْدِهِ كَافَةً؛ وَجَعَلَتْ قِصِيدَةَ "قِرَاءَةُ" سَبِيْلًا فِي الرِّبْطِ بَيْنَ جُمَلِ الْقِصِيدَةِ وَبَيَانِ غَرَضِهِ، ثُمَّ الْإِشَارَةَ إِلَى التَّنَاصِ الْمَوْرُوثِ فِيهَا.

وَمِنْهَا "الْحُلْمُ وَالْكِيْمِيَاءُ وَالْكِتَابَةُ- قِرَاءَةُ فِي دِيْوَانِ أَنْتِ وَاحِدَهَا وَهِيَ أَعْضَاؤُكَ انْتَشَرَتْ" لِشَاكِرِ عَبْدِ الْحَمِيدِ سَلِيْمَانَ، نُشِرَتْ فِي الْعَدَدِيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْمَجَلِّدِ السَّابِعِ لِمَجَلَّةِ فِصُولِ عَامِ 1987، وَيَذْهَبُ فِيهَا خِلَافَ رُؤْيَةِ جِبُورِي فِعْفِيفِي لَيْسَ غَامِضًا، لَكِنَّا "فَقَدْنَا الْكَثِيرَ مِنْ مَفَاتِيْحِهِ"؛ إِذْ شَرَعَ فِي شَرْحِ مَقَاطِعِ مِنَ الدِّيْوَانِ ثُمَّ تَوْضِيْحِ الْمَقْصُودِ فِيهَا وَمَا تَخْتَرَلُهُ مِنْ أَحْلَامٍ أَوْ تَنَاصٍ مَعَ رِبْطِهَا بِبَعْضِهَا ثُمَّ بِالْحَاضِرِ. وَعَلَى الدِّيْوَانِ عَيْنِهِ أَقَامَ رِمْضَانَ بَسْطَاوَيْسِي دِرَاسَتَهُ "أَنْطُولُوجِيَا الْجَسَدِ وَالْإِبْدَاعِ الثَّقَافِيِّ قِرَاءَةُ فِي شِعْرِ عَفِيفِي مَطْرَ" وَهِيَ إِحْدَى دِرَاسَاتِ كِتَابِهِ "الْإِبْدَاعُ وَالْحُرِّيَّةُ" الَّذِي نُشِرَهُ مُطْلَعُ الْقَرْنِ الْعَشْرِيْنَ،

وقد أشارَ في مُقدِّمتهِ إلى أَنَّهُ ابْتَعَدَ عَنِ الْمَنَاهِجِ وَكُلِّ مَا يَحُدُّهُ مِنْ قَوَالِبِ جَاهِزَةٍ، وَانْطَلَقَ مِنْ زَاوِيَةِ النِّقْدِ الثَّقَافِيِّ وَالْفَلَسْفِيِّ، فَكَانَ حَدِيثُهُ عَنِ اهْتِمَامِ عَفِيفِي بِالْجَسَدِ وَرُؤْيِيَةِ لَهُ فِي الدِّيَانِ، ثُمَّ الْإِسْتِشْهَادِ بِأَقْوَالِ الْفَلَسْفَةِ وَمَوْقِفِهِ مِنْهَا وَمَكَانَةِ عَفِيفِي بَيْنَهُمَا.

وَعرضَ نَجِيبُ أَيُوبَ "إِعْلَامِيَّةَ النَّصِّ الْمُبْهِمِ فِي شِعْرِ مُحَمَّدٍ عَفِيفِي مَطَرٍ" الَّذِي نُشِرَ فِي الْعِدَدِ السَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ الْمَجْلَدِ السَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ لِمَجَلَّةِ كَلِيَّةِ دَارِ الْعُلُومِ فِي جَامِعَةِ الْفَيْوَمِ، وَفِيهِ وَازَنَ الشُّعْرَ الْعَرَبِيَّ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، وَمَا يُمَثِّلُهُ عَفِيفِي مِنْهُمَا بِالِاسْتِنَادِ إِلَى قِرَاءَةٍ فِي قَصِيدَةِ "سَهْرَةَ الْأَشْيَاحِ" حَيْثُ خَلَصَ بَعْدَ اسْتِنْتَاطِ مَا وَرَاءَ الْمَعْنَى إِلَى سِيرِ عَفِيفِي عَلَى نَهْجِ شُعْرَاءِ السَّبْعِيْنِيَّاتِ فِي تَمَرُّدِهِمْ بَعْبِيَّةِ الْإِدَاءِ اللَّغْوِيِّ.

أَمَّا بِسَامُ قَطُوسٍ فَقَدَّمَ "تَمَثُّلَاتِ التَّشْيُؤِ فِي شِعْرِ مُحَمَّدٍ عَفِيفِي مَطَرٍ" فِي الْمَجَلَّةِ الْأُرْدُنِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا، فِي الْعِدَدِ الثَّانِي مِنَ الْمَجْلَدِ الثَّامِنِ عَشَرَ عَامَ 2022، وَالتَّشْيُؤُ هُوَ الْإِنْفِصَالُ أَوْ خَضِيوُخُ الْإِنْسَانِ لِأُمُورٍ فَوْقَ إِرَادَتِهِ، نَحْوِ مَا وَضَّحَ فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ، فِي حَيْثُ أَنَّهُ طَبَّقَ الظَّاهِرَةَ عَلَى دِيوَانِ "مَلَامِخَ مِنَ الْوَجْهِ الْأَمْبِيذَوَقْلِيْسِيِّ"؛ لِمَا فِيهِ مِنْ رُؤْيِيَّةٍ فِلْسَافِيَّةٍ عِنْدَ عَفِيفِي، فَصِرَاعُ الْغَرَبِيَّةِ وَالْحَيَاةِ وَالظُّلْمِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ وَمَا أَجْبَرَ عَلَيْهِ جَعْلَ مُفْرَدَاتِهِ تَوَاكِبُ هَذِهِ الْحَالَةِ

وَيُغْلِبُ عَلَى الْقِرَاءَاتِ السَّابِقَةِ اهْتِمَاماً لَيْسَ هَيَّباً بِالْفَلَسْفَةِ فِي التَّأْطِيرِ الْبُظْرِيِّ وَالتَّحْلِيلِيِّ أَيْضاً، غَيْرَ أَنَّ لِكُلِّ دِرَاسَةٍ نَظْرَةً يَنْطَلِقُ مِنْهَا الْبَاحِثُ، وَمَا ارْتَضِيْنَاهُ لَمْ يُقْرَأْ -بَعْدَ اسْتِغْنَائِنَا- عَلَى أَيِّ مَنَهْجٍ، وَلَمْ يَنْضَوْ تَحْتَ أَيِّ بَحْثٍ، وَكَذَلِكَ الدِّيَوَانُ؛ لِذَلِكَ صَوَّبَتِ الدِّرَاسَةُ نَظْرَهَا نَحْوَ طَبِيعَةِ مُفْرَدَاتِهِ وَأَدَوَاتِ الْإِتْسَاقِ الْمُعْتَمِدِ عَلَيْهَا فِي تَأْدِيَةِ الْإِنْسِجَامِ فِي هَذَا النَّصِّ لَا غَيْرَ، اسْتِنَاداً عَلَى الْمَصَادِرِ النَّحْوِيَّةِ مِثْلَ "الْكِتَابِ" لِسَبِيوِيَّةِ، وَ"شَرْحِ الْمُفْصَلِ" لِابْنِ عَيْشٍ، وَمُصْنَفَاتِ التَّفْسِيرِ نَحْوَ "جَامِعِ الْبَيَانِ" لِلطَّبْرِيِّ، وَ"الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ" لِلْقُرْطَبِيِّ، وَغَيْرِهَا مِمَّا ذَكَرَ فِي قَائِمَةِ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ.

وَقُسِّمَتِ إِلَى مَبْحَثَيْنِ؛ مَبْحَثِ نَظْرِيِّ، نَاقَشَ مَفْهُومَ النَّصِّ وَنَحْوِ النَّصِّ، ثُمَّ نَشَأَتَهُ وَأَهْمِيَّتَهُ، فَأَهَمَّ الْمَعَايِيرِ الَّتِي سَيُتَّكِيُ عَلَيْهَا فِي التَّحْلِيلِ وَكَذَلِكَ التَّعْرِيفِ بِالشَّاعِرِ وَمُنَاسِبَةِ الْقَصِيدَةِ، وَثَبَاتِ تَطْبِيقِيٍّ، فِيهِ تَنْفِيذٌ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ مَعَايِيرَ وَفَقَّ مَا أَظْهَرَهُ النَّصُّ؛ مِنَ الْإِحَالَةِ وَالتَّكْرَارِ وَالْحَدْفِ...، أَدْرَجَتْ إِمَّا تَحْتَ الْبِنْيَةِ التَّرْكَيبِيَّةِ أَوْ الْبِنْيَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ، لِلتَّضَافِرِ وَالتَّرَاوُطِ الشَّدِيدِ بَيْنَهُمَا، فَالضَّمَاوِرُ مِثْلًا فِيهَا إِحَالَةٌ وَتَكَرُّرٌ، وَالْأَفْعَالُ تَكَرُّرٌ وَحَدْفٌ، وَالِاسْتِبْدَالُ يَقُومُ عَلَى وُجُودِ الْإِحَالَةِ، فَكَانَ التَّوَجُّهُ إِلَى الْبِنْيَةِ؛ مَنَعًا لِلِإِسْهَابِ وَكَثْرَ بَيَانًا لِلْمُرَامِ.

وَبِهَذَا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ نَكُونَ قَدِ اقْتَرَبْنَا مِنَ الْإِسْتِنْتَاطِ السَّلِيمِ، فَإِنْ أَخْطَأْنَا زَلَّةً بَشَرِيَّةً، وَإِنْ أَصَبْنَا فَتَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ.

الجانب النظري:

مفهوم نحو النص:

النص في اللغة: "نصبت الحديث إلى فلان نصاً، أي رفعتُه... ونصبت الرجل: استقصيت مسألتَه عن الشيء،... ونص كل شيء: منتهاه" (الفراهيدي، ج7، ص87-86)، أما اصطلاحاً: فالنص "يطلق على ما به يظهر المعنى، أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام، أو الشكل المرئي منه عندما يُترجم إلى المكتوب" (الزناد، 1993، ص12)، وقيل: "جهاز عبر لغوي، يُعيد توزيع نظام اللغة، يكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مُشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأفعال السابقة والمتزامنة معها" (فضل، 1996، ص249)، والأقوال كثيرة في الثقافة العربية والغربية أيضاً، لكننا نميل إلى رأي أبي خرمة بأن العرب في تعريفاتهم انطلقوا من المعنى المعجمي للنص؛ نحو الظهور والانكشاف، مخلفين وراءهم ما يتصل به من الثبات وعلو المصدر والاستقصاء التام والترتيب والترتيب والاقتصاد؛ إذ لا يتشكل النص إلا باجتماعها معاً (أبو خرمة، 2004، ص29-24)، أما استمرار العودة به إلى المعنى الأولي ثم الصورة أو الهيئة التي يتشكل بها، فينأى بنا عن البعد المراد من المصطلح.

أما "النحو" فيشير إلى القواعدية التي يبنى الكلام على أسسها؛ إذ تعلقت في أول الأمر بالجملة، فقيل: نحو الجملة، ثم انتقلت الدراسات إلى نحو أوسع، وهو "نحو النص" وفقاً للترتيب المنطقي الذي يبدأ بالجزء ثم ينتقل إلى الكل، إذ يلجأ الأخير "في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها" (بحيري، 1997، ص134)، فهو فرع من علوم اللغة يهتم بدراسة النص سواء أكان منطوقاً أو مكتوباً بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى في إطار منظومة فكرية وثقافية محددة (الفيقي، 2000، ص38). ونكتفي بهذه الإشارة السريعة إلى المفهوم؛ لأن الخوض في غماره إطالة غير مبنعة في هذا البحث، فقد كثر الأخذ والرد بين العلماء في الشرق والغرب، من تعيين للمصطلح ثم موازنته مع الجملة، التي لا يمكن أن تفصل عنه، فهي الحجر الأول في البناء النصي وإن كان أفرادها ليس معنياً هنا.

نشأة نحو النص:

نشأ "نحو النص" بعد تحول اهتمام الدرس اللغوي من الجملة إلى النص، في النصف الثاني من القرن العشرين، على يد مجموعة من الباحثين، فأُسندت الإحصاءات الأولى لـ "هاريس" في كتابه "تحليل الخطاب" عام 1952م، الذي قدم فيه أول تحليل منهجي للنصوص (بحيري، 1997، ص18 و20)، ثم لحقه في الستينيات العديد من الدراسات (الفيقي، 2000، ص23) و(الجراح، 2006، ص72)، لكن الدراسة الرائدة مثلما قيل: هي "الاتساق في اللغة الإنجليزية" لـ "هاليداي ورفيقه حسن" عام 1976م؛ إذ بحثا في وسائل الربط التي تتجاوز الجملة (شيل، 2007، صح)، وجعلها على خمس هي؛ "الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي" (خطابي، 1991، ص11). فتبعهما

"فان دايك" في دراستيه "النص والسياق" عام 1977م، و"علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات" 1980م، واستفاد في الأولى من التداولية، ثم نظرت في الثانية للنص من زوايا مختلفة منها؛ الدلالية والبراجماتية والبلاغية والأسلوبية والسيكولوجية والاجتماعية، أما في عام 1988م فقدّم "دي بوجراند ودريسلر" في كتابهما "مدخل إلى علم لغة النص" منجهاً جمعاً فيه الجهود السابقة بوضع سبعة معايير للبحث في النص هي: السبب والالتحام والقصد والقبول ورعاية الموقف (الإعلامية) والتناص والمقبولية (العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي) (دي بوجراند، 1992، ص12). (شبل، 2007، ص ح)

وقيل: إن هاليداي ورقية حسن تحدثنا في وسائلهما عن التماسك النحوي، في حين أنهما أغفلا الجانب الدلالي (أبو خرمة، 2004، ص97). ولعلنا نذهب خلاف ما جرى به؛ لأن لكل أداة لغوية معنى دلالي تؤديه (سيبويه، 1988، ج1، ص12)، تساند المرام أو الفكرة التي يبتغي النص إيصالها للقارئ، فالإحالة مثلا تكون في الضمائر أعلى مراتب المعارف، وكثرتها أو تعدد الإرجاع على شيء تقوية للمراد، والوصل مثلا بحروف العطف أو الاستدراك أو الاستثناء. وغيرها يضاعف التماسك النحوي الذي يفضي به إلى المعنى الدلالي، أما قطعها على النحو فقط، ففيه تجزئة غير مسوّغة؛ فالنحو تنظيم قواعدي للاستعمال اللغوي ينعكس على الفهم الدلالي. ولو افترضنا أن مأخذهما على الثقافة الغربية، فالنحو أولاً غايته واحدة، وهو ما جعل "نعوم تشومسكي" يذهب إلى نظرية النحو العالمي. ونحن لا علاقة لنا بنسبة نجاحها بقدر الرؤية التي انطلقت منها. وثانياً: الوسائل التي أقرت موجودة في النحو العربي ويعمل بها على النصوص منذ القدم، إلا أن الغرب أحيى وجودها في درس اللغوي، وخير مثال على ذلك نظرية "النظم" عند الجرجاني (ت471هـ)

إذ نستدل بقوله: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس" (الجرجاني، ص55). ويوضح دريسلر مدى التوافقية بين فصول كتاب "الدلائل" نحو القول في التقديم والتأخير، وفي الحذف، والذي، وبين المعايير التي جاء بها، فكل منها استعمالات تعني الدلالة في النص (دي بوجراند، 1992، ص18)

وتختلف معايير "دي بوجراند ودريسلر" عن السابقة في أن اتصّالها بالنص يقتصر على أول اثنين هما؛ السبك والالتحام، أما البقية فيتصل القصد والقبول بمستعملي النص سواء أكان المستعمل متجاً أم متلقياً، والإعلامية والمقبولية والتناص بالسياق المادي والثقافي المحيط به (مصلوح، 1991، ص154). ويرجأ ذلك للعامل الزمني فبعد أن طبقت وسائل واليات "هاليداي ورقية حسن"، كان لا بد من سد الفجوة التي أثارها اللغويون بعدهما، فعرض "بوجراند ودريسلر" بها تكملة؛ للإحاطة بالنواحي الاجتماعية والثقافية والتداولية أيضاً، التي تمثل نسج النص مع محيطه. وسنحاول هذه الدراسة الوقوف على المنهجين في التحليل، ما أمكن إلى ذلك سيلاً؛ للإمام بالجوانب كافة.

أهمية نحو النص:

لخص البحيري أهميته في قوله: "إيراد من نحو النص تحقيق هدف جديد يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص" (بحيري، 1997، ص136)؛ إذ إراعي في وصفه وتحليلاته عناصر لم توضع من قبل، ويلجأ في تفسيره إلى قواعد دلالية مع القواعد التركيبية، فيروم التوسع انطلاقاً من نحو الجملة إلى نحو البنية الكبرى؛ أي النص، ثم الكشوف عن العلاقات اللغوية وغير اللغوية (بحيري، 1997، ص134). فغايتة البحث ما وراء كل جزئية للوصول إلى القصد.

معايير نحو النص:

سنعرض لها مثلما جاءت عند هاليدي ورقية حسن؛ لأنّ اللاحق لهما منكم على نظرتيها لهذه المعايير، وهي:

1. الإحالة:

وهي علاقة دلالية تقوم على عنصرين؛ المحال والمحال إليه، فالعناصر المحيلة لا تكفي بذاتها من حيث التأويل، بل لا محالة من الرجوع إلى ما توكدّه أو تبينه، وتكون في: الضامير وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. وتنقسم إلى نوعين؛ إحالة مقامية وإحالة نصية (داخلية)، وتتجزأ الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية، أما القبلية فتشير إلى ما سبق ذكره، والبعديّة تشير إلى كلمة أو عبارة لاحقة لها (خطابي، 1991، ص17-16).

وتختلف الإحالة المقامية عن النصية بأنها تسهم في خلق النص لكن من الخارج، فأحالتها تنضوي على المقام الخارجي، والملابسات المحيطة به (خطابي، 1991، ص17)، وربما تحسب على التداولية التي استفاد منها "فان دايك" في دراسته -مثلما سبق-.

2. الاستبدال:

وهو "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"، فينتسك وفقاً له المستبدل والمستبدل، اللذان يمكن ترابطهم من اتساق النص؛ لأن معظم حالات الاستبدال قبلية، أي علاقة متأخر بمتقدم، فالدلالة تتضح في المستبدل من المذكور سابقاً (خطابي، 1991، ص20-19).

والفرق بين الإحالة والاستبدال، أنّ العلاقة بين عنصري الإحالة علاقة تطابق، والعلاقة بين عنصري الاستبدال هي تقابل واختلاف، مثل القول: "فأسي جد مثلومة، يجب أن أقتني أخرى حادة"، فكلمة "أخرى حادة" مستبدلة من "فأس مثلومة"، ولا خلاف في الصدية بينهما، أما الاتساق قبلي؛ لأن "فأساً" دلت على "أخرى" (خطابي، 1991، ص21).

3. الحذف:

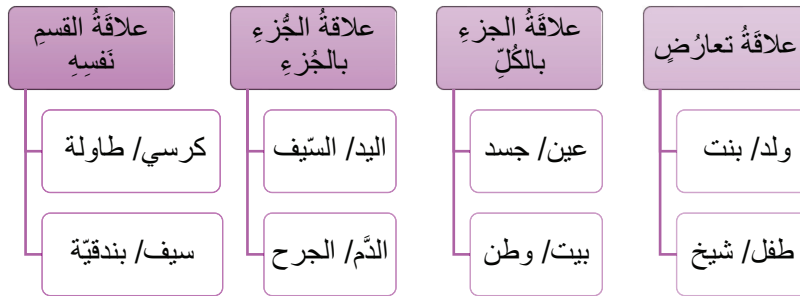
عُرِّفَ بِأَنَّهُ "عَلَاقَةٌ دَاخِلَ النَّصِّ، وَفِي مُعْظَمِ الْأَمْثَلِ يُوْجَدُ الْعُنْصُرُ الْمُفْتَرَضُ فِي النَّصِّ السَّابِقِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْحَذْفَ فِي النَّصِّ عِلَاقَةٌ قَبْلِيَّةٌ"؛ أَي أَنَّ الْحَذْفَ لِاسْمٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ حَرْفٍ لَا يَكُونُ عِبْنًا بَلْ لِبَغَايَةِ وَدَلَالَةٍ فِي النَّصِّ، يُسْتَدَلُّ عَلَيْهَا مِمَّا سَبَقَ فِيهِ. أَمَّا عِلَاقَتُهُ بِالِاسْتِبْدَالِ فَتَتَّصِلُ بِالْأَثَرِ اللَّفْظِيِّ، فَالْأَوَّلُ يَتْرُكُ أَثْرًا خِلَافًا لِلْحَذْفِ، الَّذِي سُمِّيَ "بِالِاسْتِبْدَالِ الصَّفْرِيِّ" (خطابي، 1991، ص21).

4. الوصل:

هُوَ "تَحْدِيدُ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي يَتَرَابَطُ بِهَا اللَّاحِقُ مَعَ السَّابِقِ بِانْتِظَامٍ"، إِذْ يَتِمُّ الرِّبْطُ بِالْوَصْلِ الْإِضَافِيِّ أَوْ حُرُوفِ الْعَطْفِ "و"، أَوْ "أ"، أَوْ بِالْوَصْلِ الْعَكْسِيِّ "لكن"، بِاسْتِثْنَاءِ مَا عدا، أَوْ بِالْوَصْلِ السَّبْبِيِّ "لذلك"، إِذَا، بِالتَّالِي "وَمِنَ التَّعَابِيرِ "بِالْمِثْلِ" وَ"أَعْنِي" وَ"نَحْوِ" وَ"مِثْلِ". فَوَظِيفَةُ الْوَصْلِ هِيَ تَقْوِيَةُ الْأَسْبَابِ بَيْنَ الْجُمَلِ، وَجَعَلَ الْعِلَاقَاتِ أَكْثَرَ تَمَاسُكًا فِي النَّصِّ (خطابي، 1991، ص24-22).

5. الاتساق المعجمي، على نوعين:

- التَّكْرِيرُ: وَهُوَ مَا يَتَطَلَّبُ إِعَادَةَ عُنْصُرٍ مُعْجَمِيٍّ، أَوْ وَرُودَ مُرَادِفٍ لَهُ أَوْ شِبْهِهِ مُرَادِفٍ أَوْ عُنْصُرًا مُطْلَقًا أَوْ اسْمًا عَامًّا".
- التَّضَامُّ: يُقْصَدُ بِهِ تَوَارِدُ زَوْجٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالقُوَّةِ، نَظْرًا لِارْتِبَاطِهَا بِحُكْمِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ أَوْ تِلْكَ، الَّتِي تَتِمُّثَلُ فِيهِمَا عَلَى النُّحُوِّ الْآتِي: (خطابي، 1991، ص24-25).



فَالِاتِّسَاقُ النَّصِّيُّ يُبَيِّنُ عِنْدَ إِجَادِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ، ثُمَّ الْكَشْفِ عَنْ دَلَالَتِهَا وَمَدَى خِدْمَتِهَا فِيهِ.

التعريف بالشاعر:

مُحَمَّدُ عَفِيفِيٌّ عَامِرٌ مَطَرٌ، وُلِدَ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ أيارَ عَامِ أَلْفٍ وَتِسْعِمِئَةٍ وَخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ، بِمُحَافَظَةِ المِنُوفِيَّةِ فِي مِصْرَ، تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي كِتَابِ قَرِيبِهِ وَالمَدْرَسَةِ الإِلْزَامِيَّةِ، ثُمَّ أَكْمَلَ دِرَاسَتَهُ وَعَمِلَ مُعَلِّمًا، ثُمَّ مُحَرِّرًا لِمَجَلَّةِ "سَنَابِل" الَّتِي كَانَتْ تُصَدِّرُ عَنِ مُحَافَظَةِ كَفَرِ الشَّيْخِ مِنْ (1972-1969م)، وَمُحَرِّرًا بِمَجَلَّةِ "الأفلام العِراقِيَّة" فِي الفِترَةِ ما بَيْنَ (1977-1983م). لَهُ ما يَزِيدُ عَلى أربَعَةِ عَشَرَ دِيوانًا؛ مِنْها "مِنَ دَفْتَرِ الصَّمْتِ" 1968م، ثُمَّ "مِلامِحُ مِنْ الوِجْهِ الأَمْبِيدوقَلِيسِ" 1969م، وَ"الجَوْعُ وَالقَمَرُ" 1972م، وَ"النَّهْرُ يَلْبِسُ الأَقْنَعَةَ" 1975م، وَ"فاصِلَةُ إِيقاعاتِ النَّمْلِ" 1993م... إلى الدِّيوانِ الأَخِيرِ "احتِفالِيَّاتِ المومِياةِ المُتَوَحَّشَةِ" 1994م (شِحاتة، 2003، ص 21-23)، الَّذِي يُنْقَلُ وَقائِعُ تَعذِيبِهِ فِي مُعْتَقِلِ "الاضْوَغِلي" عَامَ 1991م، وَيُقَدِّمُ رُؤْيَتَهُ الخاصَّةَ تِجاهَ الأَحداثِ وَالسَّجانِ وَوَسائِلِ التَعذِيبِ (دِربالَة، 2005، ص 347 و 357 و 358)

وَالدِّيوانِ الوائِدُ عِنْدَ مُحَمَّدِ عَفِيفِيٍّ يُعَبِّرُ غالِبًا عَن "قَضِيَّةٍ وِاحِدَةٍ فِي حِياةِ الشَّاعِرِ نَفْسِهِ، كالحَدِيثِ عَن شِعْرِهِ، وَمُعاناةِ كِتابَتِهِ، أو تَعذِيبِهِ فِي المُعْتَقِلِ، أو مَوْقِفِهِ مِنَ المُخْبِرِينَ وَالبَصائِصِ وَمواقِفِهِمْ مَعَهُ" (دِربالَة، 2005، ص 345)، وَقَد قادَهُ التَنافُرُ مَعَ السُّلْطَةِ إلى السَّجْنِ ثُمَّ السَّفَرِ إلى العِراقِ (دِربالَة، 2005، ص 320-319)، حَتَّى أَنَّ دِواوِينَهُ الأوَلَى نُشِرَتْ فِي بِيروَتِ وَوِدِمْشَقِ وَبِغدادِ، وَلَمْ تَتَمَثَّلْ فِي الدُّورِ المِصرِيَّةِ إلا بَعْدَ سَنَةِ 1982م. حَصَلَ عَلى عِدَّةِ جِوايِزِ هِى؛ جائِزَةُ الدُّولَةِ التَّشجِيعِيَّةِ عَامَ 1989م، وَجائِزَةُ الشَّعْرِ المُتَرَجِّمِ إلى الانْجِلِيزِيَّةِ عَن دِيوانِ "رِباعِيَّةِ الفِرحِ" 1996م، وَجائِزَةُ العُويسِ 1999م، وَجائِزَةُ الدُّولَةِ التَّقْدِيرِيَّةِ 2006م. وَواقِفُهُ المَنبِيَّةُ فِي السَّنَةِ العاشِرةِ مِنَ القَرْنِ العَشِرينِ (شِحاتة، 2003، ص 67) وَ (خِضِر، 2018، ص 851).

مناسبة القصيدة:

نُظِمَتْ قَصِيدَةُ "مُذْكَراتِ إِبْرِيقِ" فِي عَامِ أَلْفٍ وَتِسْعِمِئَةٍ وَخَمْسَةِ وَسَتِينَ عَلى سِتَّةِ مَقاطِعَ، وَهِيَ الأَخِيرَةُ فِي دِيوانِ "مِنَ دَفْتَرِ الصَّمْتِ" الَّذِي نُشِرَ سَنَةَ 1968. وَذَكَرَ مُحَمَّدُ عَفِيفِيٌّ أَنَّ صابِحَ مَجَلَّةِ المَعْرِفَةِ سألَهُ أَنَّ يَوضِحُ بِإِحدى قِصائِدِهِ: "كَيْفَ يَتَكَوَّنُ الشَّعْرُ الحَدِيثُ فِي صَمِيرِ الشَّاعِرِ؟ وَكَيْفَ يَظْهَرُ فِي قالِبِهِ الإنْسانِيَّ الجَدِيدِ؟ وَما هِيَ العِواِمِلُ النَفْسيَّةُ وَالفَنِيَّةُ الَّتِي تَكُونُهُ؟"، فَقدَّمَ عَفِيفِيٌّ لَهُ جانِبًا نَظْرِيًّا، ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِإسقاطاتِ شَخْصِيَّةٍ عَلى القَصِيدَةِ لا تَتَعَدَّى الإِضاءَةَ وَالتَّنوِيرَ، لا التَّحليلَ وَالنَّقْدَ (عَفِيفِي، 1966، ص 60)، ابْتِداءًها بِقَولِهِ: "ذاتِ صِيفٍ، وَفِي ليلَةٍ قَمَرِيَّةٍ صافِيَّةٍ، كُنْتُ أُسِيرُ وَمَعِي صَدِيقانِ فِي دِروِبِ قَرِيبَتِنَا النائِمَةِ، وَرأينا جِدارًا قَصارًا كِالسُّورِ أو الحَاجِزِ فِوقَ طَرَفِهِ الأَعلى وَضَعُ إِبْرِيقِ أبيضِ كَبيرٍ مِنَ الفَخارِ تَلْمَعُ جِوانِيهِ قَطراتِ المِاءِ المُقْمَرِ، فاسْتَنارَ مَنظَرُهُ عَطْشانا وَذَهَبنا لِشُرْبِ. حينَما جاءَ دُورِي قَلتُ مُعابِثًا: ما رَأَيْتما لَو أَنَّ فِي هِذا الإِبْرِيقِ ماءً مَمزُوجًا بِالسُّمِّ؟!، وَتَحَتِ إِحاحِ هِذهِ البِارقَةِ العابِثَةِ رَفَضْتُ أَنَّ أَشْرَبَ، وَقَلتُ لهما بَعْدَ مِسيرِنَا: تُرى.. لَو كَتَبَ هِذا الإِبْرِيقُ مُذْكَراتِ بِرُصْدٍ فِيها مُغامَرَةٌ وَجودِهِ وَأَسرارَ صَمْتِهِ هِذا الطَويلِ.. فِما هُوَ قائِلٌ؟! هُنا انْفَصَلَ الإِبْرِيقُ عَن إِبْرِيقَتِهِ وَتَحَلَّلَ مِنَ فِخارِيَّتِهِ وَأَخَذَ يَتَمَدَّدُ فِي داخِلي لِابِسا

لحمي، مُمتلئاً بدمي، لاهثاً بأفكاري، مُرتعشاً بخوفي... " (عفيفي، 1966، ص74).

ولهذه الإضاءة إفادة تجلّت في إكتناه الألفاظ في المقطع الأول من القصيدة، خاصة مع وجود قمر ينزف، أما بقية حديثه فيتسم بالإيجاز ويتفق مع قوله: "إسقاطات"، فهو لا يفسر عن التداخلات التاريخية والدينية في النصّ مثلما سيأتي.

الجانبُ التطبيقي

وفيه محاولة لاستجلاء آليات الاتساق والانسجام، التي وظفها الشاعر إبلاغاً لرويته، وحال أمته، فهل وافقت يراعته المرام...؟!

أولاً- الاتساق في البنية التركيبية، ويضم:

التكرار في الحقل الدلالي للأفعال

تباينت الأفعال في القصيدة بين الماضي والمضارع والأمر، فبلغ الماضي أربعة وأربعين فعلاً، والأمر إعلان، في حين أن المضارع وصل إلى مئة واثنين وستين فعلاً، فكيف تنسجم المضارعة مع "المذكرات" التي توحى بالماضوية؟ تكمن الإجابة في النهج الذي سبّرت عليه، فعفيفي عمد إلى أنسنة الإبريق واليسه ثوب الرحالة، الذي يروم سدر أغوار أكبر قدر من المشاهد التي أودت بنا إلى هذا المال من الضعف والهوان.

فتمثلت المضارعة به أربع وخمسين مرة - أي الثلث- على هيئة أحداث يقوم بها في سبيل غايته نحو قوله:

أرادوا بعض ماء من سواقيه، فيتكئ

بمرفقه على جميزة الأفق

ويخرج نهذه المقطوع في طبق

ويعصره، ويسكب ماءه بحدائق الأرض

فأملاً جوفي الظمان

-أنا إبريق هذا العالم الأرضي- أملاً جوفي الظمان

فنتكرار هذا الفعل يتسبق مع إرادة السقاية، فهم "أرادوا"، لكنّه "يُخرج" و"يعصر" و"يسكب" و"أملاً" و"أملاً"، أما ارتداده من الغائب إلى المتكلم، فيرجع إلى تجسده في ذات الشاعر، ثم إعلان انتمائه إلى العالم الأرضي. ونراه يُكثف تكرارها أخرى في مجابته للطغاة الذين ما زال تجبرهم يعشي فساداً في الأرض، وتبين المجموعتان الأتيتان حال الفاعل والمفعول:

المُقاوم	الفاعل (الطاغية)
أَقَمْتُ العَامَ بَعْدَ العَامِ فَوْقَ الشَّاهِدِ المَهْجُورِ	أَرَى الدُّنْيَا يُزَلِّزُ سَقْفَهَا طَاعُوتُهُ الطَّوْافِ
أُرْمَمُ مَا تَهْدُ الرُّيحُ مِنْ جُبَانَةِ الطِّفْلِ	يُدْقُ بِهَا خَنَاجِرُهُ الرَّمَادِيَّةَ
أَوَارِي وَجْهَهُ المُتَأَكِّلِ المَطْرُوحِ تَحْتَ الشَّمْسِ فِي ظِلِّي	وَيَسْخَبُ صَوْتُهُ فِي الرِّيحِ، يَغْرِسُ رُوحَهُ فِي رُوحِهَا الصَّمَاءِ
أُطْفِئُ أَوْجَةَ الغُرَبَاءِ	يُراقِصُهَا وَيُبْهَشُ نَهْدَهَا وَيُغْوِصُ فِي الرَّحْمِ الجَلِيدِيَّةِ
وَأَسْقِيهِمْ إِذَا التَفَّتْ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ أَنْشُوطَةُ الصَّهْدِ	وَيُسْهِلُ صَدْرَهَا شَمْسًا مِنَ التَّعْتِيمِ وَالدُّخَانِ
أُمِدِّي أَحِبِّبْ عَنْهُمْ الشَّمْسَ الجَلِيدِيَّةَ	
وَأُطْعِمُهُمْ ثِمَارَ الصَّيْفِ كَيْ يَسْتَرْجِمُوا الأَمْطَارَ	
أَوْ يَسْتَمْطِرُوا الرَّحْمَةَ	
أُرَاقِصُهُمْ إِذَا جَاؤُوا مَعَ الظُّلْمَةِ	
وَأُذْهِلُهُمْ.. فَيَسْتَسْقُونَ عَصْرَ النَّارِ..	

فالمضارع لا ينضب في المقاطع كافة، وينسجم مع رؤية اليوم لغد، سواء ألبس الإبريق رحلة للماضي أو لم يفعل؛ لأن الماضي ما زال حاضراً ومستمراً بالتكسبة الأولى للبشرية - وهي خروج آدم وحواء من الجنة. وكان استعماله متسقاً مع طبيعة النص، خاصة حين ظهر الفعل الماضي مكرراً في مواضع تتصل بالتأكيد على عاطفة المؤنسن في هذه القصيدة، فهو يؤكد على إبريقته، ثم ارتباطه بالأرض التي جلبت له ما يعود إلى تكراره، نحو قوله:

* وَقَدْ أَنْصَتَ لِلْقِبَلَاتِ وَهِيَ تَطِيرُ مِنْ غُلٍّ إِلَى غُلٍّ

-أنا إبريقُ هذا العالمِ الأرضي- قَدْ أَنْصَتَ لِلَّيْلِ

* وَقَدْ أَحْسَسْتُ بِالمَوْتِ

-أنا إبريقُ هذا العالمِ الأرضي- قَدْ أَحْسَسْتُ بِالمَوْتِ

* وَقَدْ أَحْسَسْتُ بِالأَشْجَارِ

-أنا إبريقُ هذا العالمِ الأرضي- قَدْ أَحْسَسْتُ بِالأَشْجَارِ

أما فعل الأمر فلم يأت سوى في قوله: "تعالى.. ها هو الإبريقُ في بوابة الأرض" و"تعالى.. قَدْ تَمُرُّ الآنُ كوكبةً من الحراس" و"تعالى.. رُبَمَا نلقاه" وقوله: "فدعني الآن يا تعويذة لا تثبت الرحمة"، والسياق الشعري لا يقوم على مراتب متباينة في السلطة إلا في هذه الأمثلة، ويبدو لنا أنها من آدم إلى حواء في قوله: "تعالى.."، أثناء محاولتهما العودة إلى المأوى الأول، والحدف بعد الفعل "تعالى" يضمّر كثيراً الأفعال نحو "إختبئي، احذري، تمعني، هلمي، أسرع... وغيرها -مما ذكر في الحدف والظرف تالياً، إلا أن القوة التي يحويها فعل الأمر لم تعد صالحة بعد أن ذاقوا من ماء الأرض، في قوله:

"تعالى.. ها هو الإبريقُ في بَوَابَةِ الأَرْضِ"

فَأَسْقِيهِ عَصِيرَ الخَوْفِ وَالظُّلْمَةِ

فَكُلُّ المُحَاوَلَاتِ انْتَهَتْ بالخَوْفِ وَالاستِسْلَامِ، لَوَاقِعِ لا يَسْتَطِيعَانِ الفِرَارَ مِنْهُ، وَهُوَ مَا دَعَا بِجَوَاءِ إِلَى قَوْلِهَا "فَدَعْنِي الآنَ" بَعْدَ اليَأْسِ مِنَ الوَعُودِ لِتِي أُبْرِمَتْ لَهَا، وَدَلَالَةِ "الآنَ" مُسْتَمِرَّةٌ؛ لِأَنَّ عَفِيفِي يُحِيلُ -فِيمَا يُحِيلُ- إِلَى وَاقِعِ ظَلَمِ الطَّغَاةِ وَقَهْرِ المُقَاوِمِينَ لَهُ، فَعَمَّ الخَوْفُ وَاليَأْسُ فِي القُلُوبِ، فَجَنَحَتْ إِلَى الهَرَبِ، أَمَّا النِّسَاءُ فَصَدَحْنَ بِالإِبْتِعَادِ عَمَّنْ أَخْفَقَ فِي حِمَايَتِهِنَّ. وَقَدْ أَوَكَلَ عَفِيفِي المِسْؤُولِيَّةَ إِلَى الرِّجَالِ بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ فِي القُوَّةِ، لِذَلِكَ عَلا صَوْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، مُنْبِئًا وَمُذَكِّرًا بِالمَاضِي وَالحَاضِرِ.

الإحالة النَّصِيَّةُ فِي الضَّمَائِرِ:

اقتَصَرَتِ الضَّمَائِرُ المُنفَصِلَةُ فِي النَّصِّ عَلَى ثَلَاثَةِ هِي: ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ وَضَمِيرِ الغَائِبِ وَضَمِيرِ الغَائِبَةِ، وَالأخِيرَانِ لَمْ يَثْنِ ذِكْرُهُمَا قَطُّ، فِي حِينِ أَنْ ضَمِيرَ المُتَكَلِّمِ ذَكَرَ تِسْعًا وَاتَّصَلَ جَمِيعُهَا بِالإِبْرِيقِ، نَحْوَ قَوْلِهِ:

* وَقَدْ أَنْصَتُ لِلقَبْلَاتِ وَهِيَ تَطِيرُ مِنْ عُلٍّ إِلَى عُلٍّ

-أَنَا إِبْرِيقُ هَذَا العَالَمِ الأَرْضِي- قَدْ أَنْصَتُ لِلَّيْلِ

* أَحْسُ دَمِي -أَنَا إِبْرِيقُ هَذَا العَالَمِ الأَرْضِي- يَرْتَعِشُ"

* تعالى.. ها هو الإبريقُ في بَوَابَةِ الأَرْضِ

* أَنَا إِبْرِيقُ هَذَا العَالَمِ الأَرْضِي... يَنْهَشُنِي غُرَابُ المَقْتِ

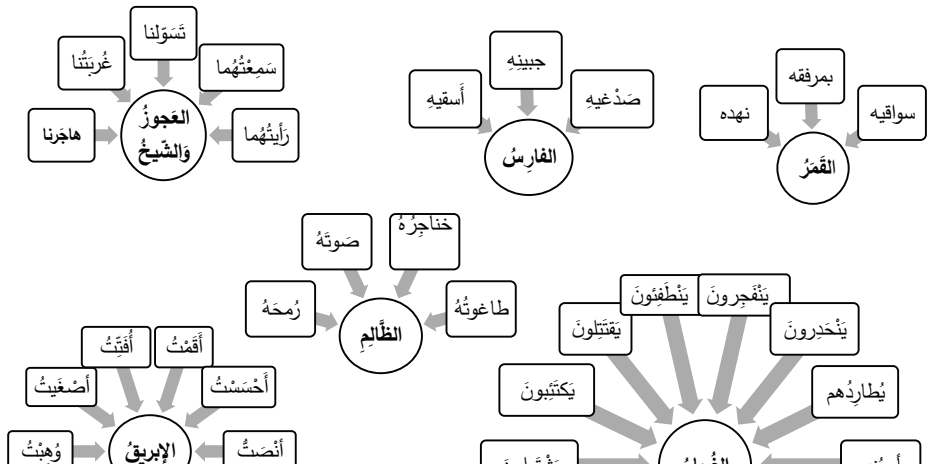
أَنَا أَنْشَقُ عَنْ أَهْلِي

وَالضَّمَائِرُ تُعْنِي عَنِ الإِتْيَانِ بِالظَّاهِرِ الدَّالِّ عَلَيْهَا (سيبويه، 1988، ج2، ص352)، لَكِنَّ وَجُودَهُ مَعَ الإِحَالَةِ البَعْدِيَّةِ أَضْفَى تَكثِيفًا دَلَالِيًّا عَلَى "الإِبْرِيقِ"، كَي لا يُظَنَّ أَحَدٌ غَيْرَهُ، وَهُوَ المُؤَكَّدُ عَلَيْهِ، أَيْضًا، فِي إِحَالَةِ "أَنَا أَنْشَقُ"؛ لِأَنَّ الضَّمِيرَ يُحِيلُ قَبْلِيًّا عَلَى الإِبْرِيقِ، الَّذِي يُمَثِّلُ مَرَكِزَ الرُّوْبِيَّةِ وَتَقْرِيرِ المَصِيرِ، أَمَّا جُمْلَةُ "هِيَ تَطِيرُ" فَتَحِيلُ قَبْلِيًّا عَلَى القَبْلَاتِ الَّتِي لا تَنفَكُ عَنِ وَصْفِ العَالَمِ الأَرْضِيِّ المَاكِثِ فِيهِ، فَهِيَ مَأْسُورَةٌ وَضَعِيفَةٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ مَوْدَعِ يَأْسٍ إِلَى مِثْلِهِ. وَفِيمَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ أَنَّهَا قَبْلَاتٌ العَوْدَةِ إِلَى الجَنَّةِ مِنْ رِحْلَةِ آدَمَ وَحَوَاءِ.

وَتَظْهَرُ الإِحَالَةُ قَبْلِيَّةٌ فِي مُعْظَمِ المُتَّصِلِ مِنَ الضَّمَائِرِ، فَلَمْ نَقْعْ عَلَى إِحَالَةٍ بَعْدِيَّةٍ إِلا فِي قَوْلِهِ: فَتَاتِي حَيَّةُ الأَرْضِ... فَتَلْعَقُ نَائِبَهَا الحَيَّةَ، فَالْهَاءُ تُحِيلُ قَبْلِيًّا؛ لِأَنَّ الحَيَّةَ قَدْ سَبَقَ وَنَفَتِ السَّمُّ فِي المَاءِ، وَلا يَفْصَلُ بَيْنَهُمَا إِلا الفَارِسُ الَّذِي شَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ تُحِيلُ بَعْدِيًّا؛ لِأَنَّ المُحَالَ إِلَيْهِ -أَي الحَيَّةِ- تَأَخَّرَ فِي التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ لِجُمْلَةٍ فَتَقَدَّمَ المَفْعُولُ بِهِ "النَّائِبُ" عَلَى الفَاعِلِ "الحَيَّةِ"؛ كِنَايَةً عَنِ النِّصْرِ الَّذِي حَقَّقْتَهُ، وَانْتَبَتْ وَقَدَّمَ الضَّمِيرُ لِإِضْفَاءِ صِبْغَةِ الإِتِمَامِ عَلَى

المهمّة الموكّلة إليها بالقتل والموت لِفارس أنحنَ في قتل أعدائِهِ وانتصرَ عليهم، غيرَ أَنَّهُ خُدِعَ مِنْهَا، فَكَانَتِ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ فِي هَزْمِهَا لِلبَّشَرِيَّةِ، حَيْثُ قَبِلَتْ فِي الْأُولَى إِدْخَالَ إِبْلِيسَ فِي الْجَنَّةِ؛ لِإِغْوَاءِ آدَمَ وَحَوَاءِ، فَطُرِدَا بِسَبَبِهَا (القرطبي، 2006، ج1، ص464).

وَشَكَّلَ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ حُضُورًا طَاعِيًا عَلَى بَعِيَّةِ الضَّمَائِرِ؛ لِأَنَّ تَعَدُّدَ الْإِحَالَاتِ الْقَبْلِيَّةِ بِهِ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ أَخْفَ (ابن يعيش، 2001، ج2، ص317) وَأَكْثَرَ اتِّسَاقًا فِي الدَّلَالَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ مِنْ تَكَرُّرِ الظَّاهِرِ، وَالْأَمْثَلَةُ الْآتِيَةُ تُبَيِّنُ مَقْدَارَ الضَّمَائِرِ الَّتِي تَعُودُ عَلَى الْاسْمِ الْوَاحِدِ فِي الْمَقْطَعِ نَفْسِهِ مَرَارًا:



وَحَدَّتِ الْمُسْتَتِرَةُ مِنْهَا حَدَوَ مَا سَبَقَ، فَالْإِحَالَاتُ فِيهَا قَبْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا الْفَاعِلُ لِعَامِلٍ وَجَبَ تَقْدِيمُهُ كِي تَصِحَّ الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ، وَالْمُحَالُ إِلَيْهِ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ عِدَّةِ أَعْمَالٍ، عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

الولد في النّهائية (هو)	الولد (هو)	الاثنان (نحن)	الحيّة (هي)
أتى	يترك	سنهزب	تأتي
يُخالس	يقر	سنهزب	تشرب
يخضن		نمرق	تصب
يخطفي		ندوق	
يسرع		سنمرق	
		نقول	

ويبدو أنّ أكثر الحالات فيه تكثفت على ضمير المتكلم نحو قوله: "أملاً، أَدَسُّ، أَنْتَظِرُ، أَسْكِبُ، أَرَى، أَمُدُّ، أبدأ، أَشْتَقُّ، أَهْرَبُ، أَعَامِرُ، أَهْدُ، أُبْحَثُ، أَعْرِسُ، سَأَبْدَأُ، أُوَارِي، أَقُومُ، أَسِيرُ، أَسْمَعُ، أَكَابِدُ، أَنْظُرُ"، وغيرها ممّا أحال على "الإبريق"، فيؤكد على ذاتيته بين الفينة والأخرى. فكلاهما واجد يريد أن يُذكر ويُمهد؛ لتجنب تكرار أخطاء الماضي. ولعل الموازنة في الحالات المُستترة بين موقف الأبوين، ثم انعكاسه على الابن يُبين أو يعود بنا إلى القانون الفيزيائي: لكل فعل ردّة فعل موازية له في المقدار. وهو ما يجدد بنا اتخاذه في مُقاومة الظلم.

فالضمائر بأنواعها الثلاثة تركّزت في الإحالة القلبيّة؛ للربط بين الألفاظ عند التكرار وغيره؛ لأنّ النصّ فيه إرجاع على أحداثٍ سابقةً بهيئة حاضرة، دون انتفاء البعدية على الإطلاق.

الإحالة المقاميّة في الضمائر:

اتّجّهت الإحالة المقاميّة إلى خارج النصّ في موضعٍ واحدٍ فقط، هو قوله: "أرأدوا بعض ماءٍ من سواقيه"، فضمير الغائبين المُتّصل، يُحيل في مطلع المقطع الأوّل إلى الناس كافةً، بدءاً من آدم وحواءٍ وهابيل وقابيل والطوفان... إلى الزمّن الحالي، وإصفاً معيشتهم وحالهم في مواجهة الطغاة وآلة الاستبداد والقتل، فقد رام الدفاع عنهم بكل ما أوتي من قوّة، لكن هل ساندوه في ذلك؟!!

التكرار والإحالة في الأسماء المبهمة (الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة):

وجد الاسم الموصول في النصّ خمس مرّات، وهو اسمٌ تعقبه جملةٌ تصف ما قبله وتعود عليه بضمير يربط بين السابِق واللاحق بغرض التأكيد على ما عليم (ابن يعيش، 2001، ج2، ص393)، وقد ظهر في مقاطعٍ مُختلفة، نحو قوله:

* هذا فارسٌ في الليل ينسلُّ

على صدغيه بعض دم وفوق جبينه ظلُّ

من الطعن الرهيب وصرخة السيف

من القتلى، من اللحم الذي لن يُنبِت الأحلام

* وقد تغتالنا الأيدي التي تمتد في الظلمة

فـ "الذي" اسمٌ موصولٌ يدلُّ على المفرد المُذكر، أي الفارس، الذي حاربَ بساعده وقوته الظلم والقوى التي أنهكت إخوته، فكثرت القتلى بأجلامهم وخططهم؛ لأنه أفنى الجسد فأتصل به فناء الروح والفكر، لكنهم لم يقدروا عليه إلا بالخدعة والمكر الذي لحق بأبويه من قبله، وما زال ملازماً لأبناء جنسه. أما "التي" فهي وصل لوصف الأيدي التي تحاول منع الأبوين من العودة إلى الجنة؛ المستقر الأول لهما. وفي قوله:

* لقد أغويتني يوماً بما في عودك الصخري من أبناء

* فدعني الآن يا تعويذة لا تثبت الرحمة

* أرمت ما تهذ الريخ من جبانة الطفل

* أنا إبريق هذا العالم الأرضي قد أصغيت للريخ

* نغمهم في صحائفها التي انطمست فجيرة صمتي

يتصل الاسم الموصول الحرفي "ما" بما لا يعقل نحو الإغواء وما تهذه الريخ من صخر، وكلاهما معروفان؛ لأن الصلة ليست لِمَا جهل بل ما عرف وأحيل عليه تأكيداً -مثلاً ذكر- فتكون "ما" توضيحاً للوعد الذي قطعه آدم لحواء بكثره الإنجاب التي تعوض ما فقده بالخطيئة التي حطت بهما على الأرض، لكنها وصلت إلى أبنائهم بتهلكة أكبر وهي القتل، فلم يعد الطفل تعويذة للحماية والسكينة، بل أسر في قبر لم تسلم جنابته من ربح تهدم جذرائه وتكشفها للمجهول. وجاء في المقطع الأخير بالصلة المؤنثة "التي" لتحيل الصمت الذي أنهك محاولات الفارس ومن يكافئه في صد الطغاة، إلى طمس لكل معالم الحياة فسودت الظلمة..

ويختلف اسم الإشارة عن الاسم الموصول في ثباته على حالتين؛ الإشارة إلى المفرد المذكر بـ "هذا"، والمفرد المؤنث بـ "هذه" في قوله: "سنهزب هذه الليلة" و"نقبل هذه الطرق الثرابية"، وهذا الاسم من المعارف التي تختص بشيء دون البقية (سيبويه، 1988، ج2، ص5)؛ "لأنك تشير به إلى ما يحضرتك ما دام حاضراً، فإذا غاب، زال عنه" (ابن يعيش، 2001، ج2، ص352)، وتواجهما ماثل بالإحالة البعدية التي تؤكد على ثنائبة الزمان والمكان في النص بـ "الليل" و"الدنيا" حيث نعتت الأخيرة بالترابية والأرضية

وَالسُّفْلِيَّةِ؛ تذكيراً وتنبهياً بمكاننا الجديد رَغَمَ المُحَاوَلَاتِ المُسْتَمِرَّةِ بِالإِيَابِ، وَقَدْ أَحَالَ عَلَيْهِمَا مُكْرَرًا بـ "هَذَا" نَحْوَ قَوْلِهِ: "أَعْمَاقُ هَذَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ"، وَ"أَنَا إِبْرِيْقُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ" لِلدَّلَالَةِ الْمَكَانِيَّةِ، أَمَّا الزَّمَانِيَّةُ فَنَحْوَ قَوْلِهِ: "هَذَا اللَّيْلُ وَالإِنْسَانُ وَالسَّفَرُ"، وَ "هَذَا فَارِسٌ فِي اللَّيْلِ يَنْسَلُ".

فَالْأَسْمَانُ يَتَّصِلَانِ بِالْمَعَارِفِ لَا النِّكَرَاتِ، وَغَرَضُهُمَا الرِّبْطُ وَالتَّكْيِيدُ عَلَى الْمَذْكُورِ لَا نَقْضِهِ، مِمَّا خَلَقَ تَأْلَافًا بَيْنَ الْمَعْيَارِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ وَالتَّسَاقِ الدَّلَالِيِّ فِي؛ الإِحَالَةِ وَالتَّرْدِيدِ.

تَكَرَّرَ الْحَرْفُ "قَدْ":

وَهُوَ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي "لَا يُفْصَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفِعْلِ بِغَيْرِهِ" (سيبويه، 1988، ج3، ص114)، فَيَتَّصِلُ بِالْمُضَارِعِ بِمَعْنَى "رُبَّمَا" مَعَ التَّقْلِيلِ أَوْ التَّكْثِيرِ، وَبِالْمَاضِي فَيُضْمُ إِلَى التَّحْقِيقِ تَقْرِيْبَ الْحَالِ مَعَ تَوْقِعِ حُدُوثِهِ فِي الْمَاضِي الْقَرِيبِ (الأسْتِرْبَازِي، 1996، ج4، ص444-445). وَقَدْ تَكَرَّرَ الْحَرْفُ فِي النَّصِّ بِمُلَازِمَتِهِ "لِلْأَنَا" الَّتِي تَسْتَمِرُّ بِإِثْبَاتِ أَرْضِيَّةِ الإِبْرِيْقِ، فَخَطَّتْ قَبْلَهُ وَأَعِيدَتْ بَعْدَهُ، فِي قَوْلِهِ:

* وَ"قَدْ أَنْصَتُ لِلْقُبَلَاتِ وَهِيَ تَطِيرُ مِنْ عُلٍّ إِلَى عُلٍّ * وَ"قَدْ أَحْسَسْتُ بِالْمَوْتِ

- أَنَا إِبْرِيْقُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ - قَدْ أَنْصَتُ لِلَّيْلِ" / - أَنَا إِبْرِيْقُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ - قَدْ أَحْسَسْتُ بِالْمَوْتِ"

* وَ"قَدْ أَحْسَسْتُ بِالشَّجَارِ" * "أَنَا إِبْرِيْقُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ قَدْ أَصْغَيْتُ لِلرِّيحِ"

- أَنَا إِبْرِيْقُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ - قَدْ أَحْسَسْتُ بِالشَّجَارِ" * "أَنَا إِبْرِيْقُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ قَدْ أَصْغَيْتُ لِلرِّيحِ"

وَيُلْحَظُ أَنَّ الْأَفْعَالَ جَمِيعَهَا اتَّصَلَتْ بِالْمَاضِي مِمَّا يُسْفِرُ عَنْ تَحَقُّقِهَا الْقَرِيبِ وَالمُسْتَمِرِّ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ لَمْ يَنْتَهَ. وَأَسْلَفْنَا الْقَوْلَ عَنْ طَبِيعَةِ هَذِهِ الْقُبَلَاتِ، أَمَّا اللَّيْلُ فَيُخْرِجُ كُلَّ مَا فِيهِ مِنْ حَرَسٍ أَوْ شَهْبٍ تَنْبُعُ مِنْ يَحَاوِلِ الإِقْتِرَابِ مِنْ جُدُودٍ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا، فِي حِينِ أَنَّ الإِحْسَاسَ بِالْمَوْتِ يَتَّضَافِرُ مَعَ الصَّبِيِّ الَّذِي قَتِلَ بِمَوْتِهِ كُلِّ مَعَانِي الْبِرَاءَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْأَمَلِ، وَالمُنْتَسِبُ فِيهِ هُوَ "قَابِيلُ" الَّذِي جَرَّ خَيْطَ الدِّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ، فَضَجَّتِ التُّرْبَةُ بِخَطِيئَتِهِ حَتَّى قَتَلَتْ الشَّجَارَ؛ بِمَا كَثُرَ تَحْتَهَا فَهِيَ نَابِتَةٌ مِنْ رُفَاتِ الْمَظْلُومِينَ، فِي قَوْلِهِ: "تَمُصُّ مِنَ الشَّرَى مَلْحًا رَهِيْبًا أَخْضَرَ الرَّعْبِ"، فَاللونُ الْأَخْضَرُ "رَمَزٌ دَائِمٌ لِلْحُبِّ وَالْأَمَلِ وَالْخُصْبِ وَالنَّمَاءِ" (قِرَانِيَا، 1998، ص88)، لَكِنَّهُ صَارَ مُرْعِبًا لِالشَّجَارِ حِينَ تَوَرَّقَ خَضِرَتُهَا مِنْ مَأْسٍ وَأَهَاتٍ وَالْأَمِّ تَرَكَزَتْ فِي جُذُورِ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ.

إِذْ بَدَأَ الإِبْرِيْقُ بِرِحْلَتِهِ بَعْدَ السَّقَايَةِ وَالْإِرْوَاءِ، وَمَا لَبِثَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى قَلَبَ حَالَهُ إِلَى الصَّدِّ، فَيَقُولُ فِي إِفْتِتَاحِ الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ: "سَأَبْدَأُ رِحْلَتِي مُحَمَّرَةً عَيْنَايَ مُنْطَفِئًا وَظَمَانَا؛ لِأَنَّ الصَّمْتَ وَالْعِدَامَةَ مُقَاوِمَةٌ طَعْمًا سَيَجْعَلُ مِنَ الْجُورِ وَالتَّعَسُّفِ رِيحًا تَيْطِشُ مَا حَوْلَهَا

دون نَبَسِ بُنْتِ شَفَةِ، ففَابَلَهُمْ هو أيضاً بالتعمي عن ألوان العذاب التي لم تُخَفِ آثارها عن بورتية، عندما عمَّ الإصغاء والصمت لا غيرهما، ثم يعود متعجباً ومستنكراً: "فَمَا أَسْرَارُ أَنِّي قَدْ وَهَيْتُ السَّمْعَ؟!!".

أَمَا في قوله: بِقَلْبِ الْأَرْضِ أَسْمَعُ أُمِّي الْخُبْلَى

تقول: صَغِيرْنَا قَدْ كَانَ مَهْرَ الزَّيْجَةِ الْأُولَى

فَكَمْ ضَمَّتَهُ بَيْنَ مَرَاشِفِ التَّفَاحِ حَوَاءُ

تقول: صَغِيرْنَا قَدْ كَانَ نَصْلاً فِي يَدِي قَابِيلِ

وَأُنِيَّةً يَسِيلُ بِهَا الدَّمُّ الْمَعْدُورُ

تقول: صَغِيرْنَا قَدْ كَانَ أَبَا سَالٍ مِنْ أَعْتَابِهِ الطُوفَانِ

فاتكأت "قد" على "كان الناقصة" دالة على زمان حدوث الفعل الماضي، حيث أكد تكرارها على ولادة "هابيل" إثر أول زواج على هذه الأرض، ثم قتله على يد أخيه "قابيل"، بعد أن أمر آدم كلا منهما الزواج بتوعمه الآخر، فأبى "قابيل" إلا أن يتزوج توعمه؛ لأنهما من ولادة الجنة، ولا اعتبارات أخرى، فاحتكما بتقديم قربان قيل من أخيه ولم يقبل منه، فقتله (الطبري، 2001، ج 8، ص 323-317)، (القرطبي، 2006، ج 7، ص 409). فسوغ مجيئها في قوله: "قَدْ كَانَ بَابًا"؛ إذ أكد على تحقق القتل وسننه بين البشر من "قابيل"، الذي أفنى طوفان نوح ذريته وبقي الإثم معلقاً به (ابن الجوزي، 2012، ج 1، ص 51)، في طوفان جديد من القتل والتبغي على أيدي الطغاة والظلام.

واعتمدت "قد" على الفعل المضارع في وصف رحلة العودة، نحو قوله:

* سَنَهْرُبُ لَيْلَةً أُخْرَى

تعالى.. قَدْ تَمُرُ الْآنَ كَوَكْبَةً مِنَ الْخُرَّاسِ

وَقَدْ تَغْتَالِنَا الْأَيْدِي الَّتِي تَمْتَدُّ فِي الظُّلْمَةِ

وَقَدْ تَهْوِي بِنَا - مِنْ فَوْقِ قَنْطَرَةِ الرَّوَى - الرِّيحُ

فالحرف "قد" حَقَّقَ الرَّهْبَةَ وَالشُّكَّ في قلوبهم من اللوح في بوابة الجنة؛ مع تكثيف دلالاته النفسية بتضمين قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلَائِكًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: 8]، فحصرُوا بين القتل والضرر الذي يأتي من الريح، لكن لم يتأكد ذلك؛ للمضارع بعد "قد" فالشك بقي ملازماً، وسوغه شربهم من الأرض سابقاً، في قوله:

* "تعالى.. ها هو الإبريق في بوابة الأرض"

فَأَسْقِيهِ عَصِيرِ الْخَوْفِ وَالظُّلْمَةِ

فَيَمْتَلِي السُّكُونُ الْمُعْتَمِ الْعَيْنِينَ بِالْأَجْرَاسِ

ولعل هذه الأجراس تُذَكِّرنا بصوت ارتطام مفاتيح الأندلس ببعضها، عندما قام أبو عبد الله الصَّغِير بِتَسْلِيمِهَا لِلصَّليبيين، فِكِلَاهُمَا أَشْرَبَ الخَوْفَ وَالتَّحَسُّرَ مَعَ الحَيْنِ إِلَى دُخُولِ جَنَّتِهِ⁽¹⁾، التي ما تحققت لأي منهما؛ لِذَلِكَ جَاءَ النُّظْمُ بِ"قَدْ" وما تَفَيْدُهُ مِنْ كَثْرَةِ الشَّكِّ وَالقَلْقِ فَحَسْبُ.

تَكَرَّرَ ظُرُوفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ:

تَضَمَّنَ النَّصُّ مَا يَرِيو عَلَى عَشْرِينَ ظَرْفًا، لِلدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَانِ نَحْوَ "الليل، الآن، يوماً، بعد، حين"، وَالْمَكَانِ مِثْلَ "فوق، عند، بين، تحت"، وَلَعَلَّ أَكْثَرَهَا حُضُورًا "فوق" وَهِيَ مِنْ ظُرُوفِ الغَايَاتِ؛ وَغَايَةَ كُلِّ شَيْءٍ مُنْتَهَاهُ، وَالظَّرْفُ إِذَا أَضِيفَ تَكُونُ غَايَتُهُ فِي المُضَافِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ النِّهَائِيَّةَ فِي الإِضَافَةِ تَمْتَلِ بِه (ابن يعيش، 2001، ج3، ص104)، وَفِي قَوْلِهِ: "فوق جبينه ظلُّ من الطعن الرهيب وصرخة السيف" وَ"نمرق فوق قنطرة الرؤى للطينة الأولى" وَ"قد تهوي بنا من فوق قنطرة الرؤى - الریح" وَ"فوق الشاهد المهجور" وَ"ينطفنون فوق أسرة الأفخاذ" وَ"أواري عورتني وفضيحة الأبوين فوق مضاجع الطمث"، دَلَالَةٌ يوضِّحُهَا المُضَافُ إِلَيْهِ بِتَكَرُّرِ الظَّرْفِ، فَالجَبِينُ مُعْطَى بِأَثَارِ القَتْلِ وَالدِّفَاعِ عَنِ الحُرِّيَّةِ المَسْلُوبَةِ مِنْ فَارِسِ أُخْرَجَ بِالحَدِيدَةِ لِأَقْوَةِ الأَخْر، وَالجِسْرُ الَّذِي يَمُدُّهُمْ بِأَمَالِ العُودَةِ مُهَدِّدٌ بِالانْهِيَارِ إِنْ اقْتَرَبُوا مِنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ فَقدُوا فَرْصَتَهُمْ وَأَصْبَحَ الطِّفْلُ أَمَلَ الحَيَاةِ وَالتَّعْيِيرِ شَاهِدًا عَلَى قَبْرِ هَجْرٍ مِنَ الاسْتِكَاةِ لِلظَّالِمِينَ، فَدَوَّرَ الشَّعْبُ يَنْتَهِي بِالإِخْصَابِ وَالإِنْجَابِ دُونَ الذَّبِّ عَنْهُمْ، وَهُوَ مَا يَعُضُّهُ الشَّاعِرُ بِاسْتِمْرَارِ الظَّرْفِ الزَّمَانِيِّ فِي قَوْلِهِ: أَقَفْتُ العَامَ بَعْدَ العَامِ فُوقَ الشَّهِدِ المَهْجُورِ.

وَكَتَّفَ اسْتِعْمَالَ الظَّرْفِ المَكَانِيِّ "بَيْنَ" فِي المَقْطَعِ الأَخِيرِ "أقوم الآن بين فضاحي" وَ"يخضن وجهي المطموس بين يديه، يخطفني" وَ"أنظر بين عينيه"، فَشَكَلَ سِلْسِلَةً تَرَاتِبِيَّةً مُهَدِّدَةً لَهَا بِقَوْلِهِ: "أرى ولداً غريب العين شاب الرأس منه، اندس في الظلمة" مُتَأَثِّرًا بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: 17]، وَقِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: "هَذَا ضَرْبٌ مِثْلُ لِشِدَّةِ ذَلِكَ اليَوْمِ، وَهُوَ مَجَازٌ؛ لِأَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَكُونُ فِيهِ وِلْدَانٌ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ أَنَّ هَيْبَةَ ذَلِكَ اليَوْمِ بِحَالٍ لَوْ كَانَ فِيهِ صَبِيٌّ لِشَابِ رَأْسُهُ" (القرطبي، 2006، ج21، ص342-341)، وَهُوَ مَا أَقْرَهُ عَفِيفِي نَتِيجَةَ التَّنْزَامِ الصَّمْتِ فِي وَجْهِ الطَّغَاةِ، فَقد غَيَّرَ القَهْرُ وَالتَّعْذِيبُ مَلَامِحَ الصَّبَا والقُوَّةِ، حَتَّى أَحْنَيْتُ وَجْهَنَا بَيْنَ كَفْتَيْنِ مُتَسَائِلَتَيْنِ، إِلَى مَتَى سَنَبْقَى نَرْمُقُهُمْ دُونَ تَغْيِيرِ؟!!

وَتَتَّبِقُ دَلَالَةُ الظَّرْفِ المَكَانِيِّ مَعَ الزَّمَانِيِّ فِي التَّكَرُّرِ، الَّذِي أُسْنَدَ مُعْظَمُهُ إِلَى "الآن" وَ"اللَّيْلَةَ" فِي قَوْلِهِ: "وجاء الآن.. وجاء الآن.." وَ"قد تمر الآن كوكبة من الخراس"، "فدعني الآن"، وَ"سنهزب ليلية أخرى" وَ"تحت الليل جاء اثنان"، فَالرَّحْلَةُ الَّتِي جَسَدَهَا

(1) قادنَا إِلَى هَذِهِ الرُّوْيَةِ التَّارِيخِيَّةِ دِيوَانُ الشَّاعِرِ، الَّذِي بَدَأَ بِقِصَائِدِهِ مِنْهَا "الشَّاعِرُ وَالهَزِيمَةُ" وَ"جَرِيمَةُ فِي غِرْنَاطَةَ" وَ"فِي أَرْضِ المَوْتِ"، زِيَادَةً عَلَى حُضُورِ الأَنْدَلُسِ الوَاضِحِ وَالأَمْجَادِ العَرَبِيَّةِ فِي أَعْمَالِهِ كَافَةً.

الإبريق تَمَّتْ في الليل لا النهار؛ لأنه رمزٌ للظلمة وضعيف الرؤية، ثم استمرت بالتكرار والتأكيد على "الآن" التي تعني الزمن الحاضر، وهو الذي يقع فيه كلام المُتَكَلِّمِ الفاصل بين ما مضى، وما هو آتٍ (ابن يعيش، 2001، ج3، ص131)، وإن قيل: ثباتها كان في المقاطع الأولى من القصيدة، فلعل الحال تغير؟! الحق أنه لم يتغير، وبدأ من أول إغواء ومكر بالإنسان، إذ سبق الحديث عن الحية التي احتالت على آدم وحواء، ثم الفارس الذي أنكر إساءة الأعداء بسيفه، فإذا استمر التفكير الجمعي بالطريقة نفسها وتركت هذه الحية طليقة بما تنفته من سموم، فلن تتوقف دلالة "الآن"...

التقديم والتأخير:

تكرَّرَ فِي النَّصِّ تَقْدِيمُ الْأِسْمِ الْمُنْصُوبِ وَتَأْخِيرُ الْفَاعِلِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: "تَلْعُقُ نَابِهَا الْحَيَّةُ" وَ "تُرَاقِصُنَا الرِّيَاحُ" وَ "تَغْتَالِنَا الْأَيْدِي" وَ "أَطْفَأَتْ أَيَّامَهُ الطُّرُقَاتُ" وَ "تَشُقُّ جِدَارَ غُرْفَتِهِ الرُّوْيُ" وَ "غَايَةُ الصَّمْتِ" وَ "يُزَلْزَلُ سَقْفُهَا طَاعُوثُهُ" وَ "يَنْهَسُنِي غَرَابُ الْمَقْتِ"، وَجَمِيعُهَا مُوَافِقٌ لِلْمَعْيَارِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ إِذَا أَضْمَرَ أَحَدُهُمَا وَكَانَ الْمَفْعُولُ وَجِبَ وَصَلَهُ وَتَأْخِيرُ الْفَاعِلِ، وَإِنْ كَانَ الْفَاعِلُ فُوجِبَ تَقْدِيمُهُ وَتَأْخِيرُ الْآخِرِ (ابن هشام، ج2، ص134)، وَفِي الْآيَاتِ تَقَدَّمَ الْمَفْعُولُ الْمُضْمَرُ وَجُوبًا فِي الْأَفْعَالِ "تُرَاقِصُنَا" وَ "تَغْتَالِنَا" وَ "غَالَهُ" وَ "يَنْهَسُنِي"، وَتَقَدَّمَ جَوَازًا فِي صُورَةِ أَسْمَاءٍ ظَاهِرَةٍ نَحْوِ "نَابِهَا" وَ "أَيَّامَهُ" وَ "جِدَارَ" وَ "سَقْفُهَا". وَيُظْهِرُ أَنَّ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا اتَّسَمَتْ بِالْحَرَكَةِ الَّتِي تَمَرَّقُ وَجُودَ الشَّاعِرِ أَوْ الشَّعْبِ بَيْنَ خِدَاعِهِ وَتَمَرِّقِهِ ثُمَّ قَتْلِهِ بِصَمْتٍ، فَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ بِهِ بَيَانًا وَتَوْضِيحًا لِمَنْ نَكَلَ بِهِ، فَلَا أَمْنٌ فِي الدُّنْيَا لِصَبِيٍّ أَوْ شَيْخٍ لِهَارِبٍ أَوْ مُقَاتِلٍ، أَمَّا الْفَاعِلُ فَمَعْلُومٌ وَمَعْرُوفٌ وَلَا نَحْتَاجُ إِلَّا لِلْوُقُوفِ بِوَجْهِهِ وَوَجْهِهِ مَنْ يُمِثِّلُهُ حَاضِرًا، وَقَدْ قَرِنَ وَجُودَهُ بِالْغَرَابِ مُنْذُ أَنْ قَتَلَ قَابِيلَ أَخَاهُ هَابِيلَ كَيْدًا وَحَسَدًا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيكَ بِبَوْلِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 31]. وَيُشْكَلُ الْعَدُولُ أَوْ مُخَالَفَةُ الرُّبْنَةِ النَّحْوِيَّةِ "وَسِيلَةَ لَعْوِيَّةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ، أَكْثَرَ قُدْرَةَ عَلَى اسْتِجْلَابِ الْمَعَانِي الْأَدْبِيَّةِ" (النجار، 2021، ص407).

العلاقة بين المضاف والمُضَافِ إليه:

ظَهَرَتْ الْإِضَافَةُ فِي النَّصِّ مِنَ النَّكِرَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ فَالْكُتْسَبُ الْمُضَافِ تَعْرِيفًا (الفارسي، 1996، ص211-210)، وَاجْتِمَاعُ الْمَعْرِفَةِ مَعَ الْكَثْرَةِ يُصِيفُ وَيُبَيِّنُ الْمُرَامَ فِي عِلَاقَتِهِمَا، نَحْوُ قَوْلِهِ: "جَمِيرَةُ الْأَفْقِ" وَ "حَدَانِقُ الْأَرْضِ" وَ "مِدَاخِلُ الدُّنْيَا" وَ "حَيَّةُ الْأَرْضِ" وَ "سَمُّ الْأَرْضِ" وَ "بُؤَابَةُ الْأَرْضِ" وَ "بُؤَابَةُ اللَّيْلِ" وَ "مَغِيبُ الْأَرْضِ" وَ "غَرَابُ الْأَرْضِ" وَ "طِينَةُ الْمَجْهُولِ" وَ "أَرْضُ التَّبَارِيحِ" وَ "طَعْمُ الْحِنْطَةِ" وَ "عَصِيرُ الْخُوفِ" وَ "عَيُونَ الْخَلْقِ" وَ "رَوَاحِ الطَّاعُونَ" وَ "عَظْمُ الشَّيْخِ" وَ "جُبَانَةُ الصَّمْتِ" وَ "جُبَانَةُ الطِّفْلِ" وَ "أَسْرَةُ الْأَفْخَادِ" وَ "صَوَاعِقُ التَّعَبِ" وَ "أَظَافِرُ الْإِعْصَارِ" وَ "فُجَاجُ الْيَاسِ" ...، فَاتَّخَذَتْ الْأَرْضُ فِي مُعْظَمِ أَحْوَالِهَا مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مُسْتَقْرًّا؛ لِأَنَّ الْغَايَةَ مِنَ الْإِضَافَةِ تَنْتَهِي بِهِ مِثْلَمَا سَبَقَ- أَيْ بِالْأَرْضِ، الَّتِي رَبَطَهَا الْمُضَافُ بِالشَّرِّ وَالْأَذَى وَالْجَهْلِ وَالشَّقَاءِ، ثُمَّ اخْتَزَنَتْ الصِّفَاتِ نَفْسَهَا فِي عِلَاقَاتِ الْآخَرَى، فِيمَا أَنْ تَكُونَ فِي الْمُضَافِ نَحْوِ "أَظَافِرِ، صَوَاعِقِ، جُبَانَةِ"،

أو في المضاف إليه "الأفخاذ، الطاعون، الخوف"، وقد يأتي الانسجام مع ما ذكر يحكم السياق فـ "عيون الخلق" مثلاً أحيل عليها بالغرابة والهجرة إلى الأرض، و"مراشف التفاح" تنصل بالحنين إلى الجنة والياس من الأرض عند حواء، وكذلك "ثمار الصيف" التي أكلت في غير موعدها... فالعلاقة بين الجزأين كشفت عن انساق التركيب النحوي مع الاتجاه الدلالي، فيما نرى.

تكرار العطف والتعت:

يعد كل منهما تابعاً إعرابياً، أما الأول فغرضه توضيح ما سبق إماماً بالوصف، أو المشاركة في الحكم الذي سيطرت عليه "الواو" في النص و"هي تدل على الجمع المطلق" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص6) بين ركني العطف، إلا أن الجمع أشرب بخصائص تتسجم مع الدلالة السياقية، في قوله: "الليل والإنسان والسفر"، "القبر والغيطان والإنسان"، "الخوف والظلمة"، "الأرض والظلمة"، "التعتيم والدخان"، "بلا فيء ولا خضرة"، و"الجميز والتوت"؛ لأن كلا منها يشرك جانباً من الظلام وانعدام الرؤية والموت، فشجر الجميز يوضع على القبور في الأرياف المصرية وهو المشترك الذي توصلت له رحلة الإبريق المتجسدة في نماذج تاريخية عديدة لم يخل منها العصر الحاضر.

أما التعت فقد يأتي لإسباغ ثناء ومدح أو ذم وتحقير، وتعريف مخاطب بأمر لا يعرفه عن الموصوف أو المنعوت (ابن يعيش، 2001، ج2، ص233)، وبما أن النص يقوم على وصف وذكر المشاهد التي اتصلت برحلة الإبريق في التاريخ، فيكون التعت بداية الأنسب من التوابع، وهو الظاهر بالفعل، إذ أطنب عفيفي في وصف العوالم والأحداث نحو قوله: نهضة المقطوع، العالم الأرضي، "العالم السفلي"، "الدنيا الثرابية"، "البوابة الخضراء"، "الروى السوداء"، "السكون المعتم"، "مزمارين مكسورين"، "الطعن الرهيب"، "جرح عميق"، "الشاهد المجهور"، "المتاكل المطروح"، "الدم المغدور"، "المتسول العريان" وغيرها مما لا يخرج عن دلالة العطف؛ بالظلمة ثم الانهيار للغاية البشرية، يؤكد عليه الازدياء بـ "العالم الأرضي" الذي سبق في تكراره بإسبام الإشارة "هذا" فأضاف للتركيب النحوي -علاوة على التركيز الدلالي- إبدال "كل من كل" و"البذل نسبة معنوية إلى المبدل منه" (الاستربادي، 1996، ج2، ص394) يهدف الجمع بينهما للبيان والإيجاز (ابن يعيش، 2001، ج2، ص259-258)، فيكون التابع الأول بياناً، والآخر وصفاً له ولمن خصته

الرحلة باليقظة..

تكرار الحذف في الأفعال:

عمد عفيفي إلى الحذف بعد الكلمة الأولى من القصيدة، بقوله: "ثرى.. من أي جرح ينزف القمر!!"، فهل معينه نصب منذ البداية؟! نعم، يبدو أنه انتهى قبل البدء؛ لأن ما يتبعه من المذكرات والرجوع إلى الماضي تذكير بعاقبة من يتترك نفسه تنقاد لإحاديث المخادعين، خاصة بعد سيرنا على الخطى ذاتها - في الزمن الحاضر-، أما ربط الجرح

لعلّ الظاهرة الأوقى عند عفيفي هي ملازمة التكرار في الألفاظ والجمل مع الخروج ببعضها عن المألوف، وكأنه يؤسس لتعالقات جديدة؛ لا تنأى عن الإتيان بالعرض المرام بعد طول تفكير وبحث، نذكر منها؛ "الرحم الجلديّة" و"الشمس الجلديّة"، ولثانيّة الثلج والشمس الضديّة وجود يدلّ في ثناياه على توقّف الإخصاب والإنجاب؛ لأن الصغار ذوي البراءة لم يأذن الطاغوت والظالم بخروجهم إلى الحياة؛ خشية مجابتهم فيما بعد، وهو يُذكرنا بفرعون الذي قتل مئآت الأطفال كي لا يخرج النبيّ المنتظر ثم رباه في بيته!، والثلج دلّ على الموت، أيضاً، في قوله: "فيعتسل الصبيّ يمانه الثلجي، يسمع آخر الأصداة". وحملت الشمس الجلديّة المضمون نفسه في تكرار "أمدُ يدي أحجب عنهم الشمس الجلديّة"، ثم "وأغرس خنجراً من رمزيّ المعجون من ثلج ومن شمس"، فالأولى كانت في سبيل الدفاع عن أمته والوقوف في وجه مضطهدهم، لكنّ الرّيح وما تحمله من العذاب والشر أهلكت ساعده الذي مُد "فتأكل ساعديّ الرّيح"، ودرجته في "جبانة الطفل"، أي قبره، خلافاً للفكرة المعهودة وتجبراً فلا استثناء لأحد، وفي الثانية يُشير الجمع بينهما إلى عاقبة قابيل مبین القتل، إذ روي أنّ إحدى رجليه عُلق ساقها بالفخذ من يومئذ إلى يوم القيامة، "ووجهه في الشمس حيثما دارت دارت عليه، عليه في الصّيف حصيرة من نار، وفي الشتاء حصيرة من ثلج" (ابن الجوزي، 2012، ج1، ص52). ولأول وهلة يُشكل التصادم خلخلة في بنية اللغة، ما عدا أنها "خلخلة كقبلة بإيقاظ وعي القارئ واستنفاره" (مايابا، 2021، ص361).

وهو ما جعل الرّيح في آخر مقطع "تغني نفس غنوتها، تغني نفس غنوتها"، في حين أنّ مجيء رياح الخير والنعمّة اختزل في قوله: "ثراقصنا الرّياح ونعرف الصمتا" عندما استذكر الجنة وطيباتها، والرّياح والصمت -هنا- على النقيض تماماً ممّا تكرّر في القصيدة نحو "غاله الصمت"، "يختطفونه في الصمت"، "جبانة الصمت"، "فجبة صمتي"؛ الذي أحرّ الأمة فكالب الطغاة على النهش بجسدها. وحاكي اللفظ المعجمي جانب الأذى والشر في قوله: طعن، يُفجر، يضرب، تغالنا، جرح عميق، جرح ينزف، يدق، يغرس، ينفجرون، يقتتلون، يشتعلون، نصلأ، الطوفان، تابوت، المشنوق، يسرقني، يرثيني...؛ فهو الحال المائل عند الشعب، الذي رام أبويه العودة إلى "الطينة الأولى، الحنطة الأولى، الرّيجة الأولى، براءة قلبي الأولى"، لكن لا مناص من هنا، سوى تقبّل الخطيئة الأولى والجهاد لعدم الوقوع في أخرى

معيّار الموقفيّة

يتخذ النصّ من قصّة الخليقة الأولى الحجر الأساس في بناء مطلبه، وذلك للتشابه والتكرار بين الحديثين أو القصّتين، فأدّم وحوّاء أرادا الدخول إلى الجنة بعد إخراجهم وعزّز نيّتهم قتل قابيل لإهابيل، فظهر الحنين إلى المأوى الأول، لكنّ عفيفي لا يؤيد توجّههم، فالأصل المواجهة والرّفص لا الهرب والاشتياق لما سلب منهم. حيث نهضت روابط الاتساق والانسجام بدلالة تنفق مع رؤيته في مجابته وقمع الأنظمة الظالمة.

معيّار الإعلاميّة (الجدة في النصّ)

يَتَكَيُّ النَّصُّ عَلَى الْجِدَّةِ فِي الْاِخْتِيَارِ مِنَ الْعُنْوَانِ الَّذِي يُضْمِرُ دَلَالَاتٍ تَنْسَجِمُ وَالْفِكْرَةَ الْمُرَادُ اِبْصَالَهَا لِلْقَارِي، فَ "مُذَكَّرَاتُ اِبْرِيْق" وَإِنْ أَشَارَ عَفِيْفِي إِلَى اُنْسَنَّتِهِ نَحْوِ مَا سَبَقَ- اِلَّا اَنَّهُ اَلَيْسَ غَيْرَ ثَوْبٍ اَوْ شَخْصِيَّةٍ، اَمَّا اَلِإِشْكَالُ اَوْ قُوَّةُ التَّعَالُقِ فَلَا يَفْعُ فِي ذِكْرِهِ لِلجَنَّةِ اَوْ السَّمَاءِ؛ لِعِلَاقَتِهَا بِالْقِصَّةِ السَّابِقَةِ الذِّكْرُ، بَلْ فِي مَطْلَعِ الْاَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ: "مِنْ اَيِّ جُرْحٍ يَنْزِفُ الْقَمْرُ!"، فَمَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْاِبْرِيْقِ وَالْقَمْرِ؟! نَظْنُ اَنَّهُا رَاطِبُ بَيْنَ عَالَمِ اَرْضِي وَعَالَمِ عُلُوِي، يَنْشَابِهَانِ فِي الْاِمْدَادِ الْحَيَوِي، فَاَلِاِبْرِيْقُ فِيهِ سِقَايَةٌ وَحَيَاةٌ وَطَاقَةٌ لِاَلْاِنْسَانِ، وَالْقَمْرُ فِيهِ اِضَاءَةٌ وَنورٌ مِنَ الظَّلَامِ. يَأْمَلُ اَلَا نَضْرِبَ بِهِ عُرْضَ الْحَائِطِ، وَاَنْ نَحَاوِلَ رَأْمَ الْجُرْحِ.

التنصيص

تَتَمَيَّزُ هَذِهِ الْمُذَكَّرَاتُ بِاَنَّهُا تَضْمِيْنٌ لِقِصَصٍ وَحَوَادِثٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ اَبْرَزُهَا قِصَّةُ اَدَمَ وَحَوَاءَ الَّتِي اسْتَعْرَقَهَا التَّحْلِيْلُ، ثُمَّ طَوْفَانُ نُوحٍ، الَّذِي قَطَعَ ذَرْبَةً قَابِيْلَ، وَ"اَلْاَجْرَاسُ" وَمَا تَحْمَلُهُ مِنْ اِشَارَاتٍ نِهَايَةِ الْحُكْمِ الْاَنْدَلِسِي. تُرَدِّقُهَا بِاسْتِعَانَةِ عَفِيْفِي قَوْلُهُ: "سَنَهْرُبُ حَيْنَمَا نَسْتَأْذِنُ الْمَوْتَا"، مِنْ قِصَّةِ "اِدْرِيسَ" -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حَيْنَمَا اَحْبَبَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَاَسْتَأْذَنَ اللهُ تَعَالَى بِاَنْ يَهِيْطَ اِلَيْهِ فِي صُوْرَةِ اَدَمِي، فَلَمَّا عَرَفَهُ اِدْرِيسُ، سَأَلَهُ تَذَوُقِ الْمَوْتِ، حَتَّى يَعْلَمَ شِدَّتَهُ فَيَسْتَعِدَّ لِاَوَانِهِ (ابن الجوزي، 2012، ج1، ص65).، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الطَّلِيْبِيْنَ اَنْ اَدَمَ وَحَوَاءَ اَرَادَا الْمَوْتِ حَنْيْنَا بَعْدَ اِخْفَاقٍ، وَهَرُوبَا لَا تَصُوْبِيَا، بَعْدَ الْعِقَابِ الَّذِي حَلَّ بِهِمَا اَوْ التَّطْهِيْرِ لِعَفْلِهِمَا، وَلَمْ يَنْجَحَا فِيهِ، فَيَقُوْلُ:

"فَأَسْكُبُ مِنْ دَمِي كَأَسَا لِسَحَّادِيْنَ يَنْتَفِضَانِ"

تَسِيْلُ خِلَالَ عَظْمِ الشَّيْخِ مَاءً مُعْشِبًا،

وَيَظْهَرُهُ نَسْلًا بِلا اَسْمَاءِ

وَتَضْرِبُ فَعْدُهَا بِالطَّمْثِ، تَمَلُّ صَدْرَهَا لَبْنًا"

اَمَّا الْكَأْسُ فَنَظْنُ اَنَّهُا اِشَارَةٌ اِلَى مَا وَرَدَ فِي اِنْجِيْلِ لُوْقَا عَلَى لِسَانِ الْمَسِيْحِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيْدُ بِدَمِي الَّذِي يُسِفِّكَ عَنْكِمَ" (لُوْقَا 22:20)، بِقِصْدِ التَّطْهِيْرِ عَنْ خَطَايَا الْبَشَرِ، فِي حِيْنِ اَنْ حَوَاءَ عَوَقِبَتْ بِالطَّمْثِ (الطَّبْرِي، 2001، ج1، ص565-567) الَّذِي رَدَّدَ فِي النَّصِّ.

الخاتمة

خَرَجَتِ الدَّرَاسَةُ بَعْدَ إِفْضَالِ آيَاتِ الْإِتِّسَاقِ عَلَى قَصِيدَةِ "مُدَّكَرَاتُ إِبْرِيْقٍ" بَعْدَةَ نَتَائِجِ:

1. جَاءَتِ الضَّمَائِرُ الْمُتَّصِلَةُ غَالِبَةً عَلَى غَيْرِهَا فِي النَّصِّ، ثُمَّ أَحَالَتْ فِي الْمُعْظَمِ عَلَى مَا قَبْلَهَا، مِمَّا قَوَّى التَّرَابُطَ بَيْنَ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ؛ لِأَنَّ النَّصَّ فِيهِ إِرْجَاعٌ عَلَى أَحَادِيثٍ سَابِقَةٍ لِمُجْرِبَاتٍ حَاضِرَةٍ. أَمَّا الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ فِإِحَالَتُهُ بَعْدِيَّةٌ تُؤَكِّدُ عَلَى ذَاتِيَّةِ الشَّاعِرِ بِقَوْلِهِ: "أَنَا إِبْرِيْقٌ هَذَا الْعَالَمِ الْإِرْضِيِّ"، فَهُوَ مَوْجُودٌ وَيُؤَكِّدُ عَلَى بَشَرِيَّتِهِ لِلصَّحْوَةِ مِنْ أَحْلَامِ التَّحَرُّرِ وَقَشَعِ الظَّلَامِ.

2. بَانَتِ الإِحَالَةُ الْمُقَامِيَّةُ فِي مَطَلَعِ الْقَصِيدَةِ فَقَطَّ عَلَى أَنَسِ رُويِ ظَمَأُهُمْ، فَتَبَعَهُ رِحْلَةُ تَسْتَكْشِيفِ جَالِ النِّقْيَةِ يَدْعَا مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ إِلَى الْيَوْمِ، ثُمَّ تَوْضُحُ مَا لَهُمْ الَّذِي قَدْ رَسَمُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ ذُلِّ وَخُضُوعِ، فَخُطْبِيَّةِ آدَمَ وَحَوَاءَ لَا تَعْنِي النَّهَائِيَّةَ، فَهَمَّ قَدْ أَخَذُوا فِرْصَةَ ثَانِيَّةً، لَكِنَّ الإِخْفَاقَ مُسْتَمَرًّا مُنْذُ سَنِّ قَابِيلِ الْقَتْلِ، وَمِنْ الْأُمَّةِ الَّتِي يَسْتَيْبُ صَغِيرَهَا وَيَمُوتُ، وَمَا زَالَ الْحُلْمُ بِالْإِخْصَابِ وَالْإِنْجَابِ.

3. قُدِّمَ الْمَفْعُولُ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِ فِي التَّرَاكِيْبِ النَّحْوِيَّةِ؛ لِتَوْضِيحِ حَالَةٍ مِنْ نُكَلِّ بِهِمْ، فَلَا رَحْمَةَ لَيْسَنَّ أَوْ جِنْسٍ عِنْدَ الطَّغَاةِ، أَمَّا تَأْخِيرُ الْفَاعِلِ فَيَنْسَجِمُ مَعَ رُويَّةِ الشَّاعِرِ، لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ سِوَى أَنَّنَا نُرِيدُ مَنْ يُزِيلُ تَجْبِرُهُ بِالْمُقَاوَمَةِ وَالرَّفْضِ لَا الذَّلِّ وَالْهَرَبِ، فَقَدْ قَتَلَ الصَّبِيَّ وَالشَّيْخَ وَالْمَرْأَةَ...

4. انْتَهَتْ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ النَّسْبَةِ أَوْ رُكْنِي الْإِضَافَةِ إِلَى الْأَرْضِ أَوْ مَا يُشِيرُ إِلَيْهَا -الدُّنْيَا، الْأَفْقَ، التَّرَابِ-، حَيْثُ جُعِلَتْ مُضَافًا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا الْمُسْتَقَرُّ الثَّانِي الْمَمْلُوءُ بِالشَّرِّ وَالْأَدَى، نَقِيضًا لِلأَوَّلِ.

5. أُنِّمَ النَّصُّ تَأْكِيدَ الظُّلْمَةِ عَلَى رِحْلَةِ الْأَرْضِ فَقَدْ حَدَّثَتْ لَيْلًا لَا نَهَارًا، دَعَاهُ إِلَيْهَا انْتِقَاءُ الْبَصِيرَةِ عِنْدَ الْبَشَرِ عَامَّةً وَأُمَّتِهِ خَاصَّةً، فَالظُّلْمُ يَحِيقُ بِهِمْ مَا دَامَ الْخُضُوعُ مَوْفَقَهُمْ، لِذَلِكَ وَصَفَ الزَّمَانَ بِالْأَنْثِيَّةِ "الآن".

6. عُدَّ التَّكَرُّارُ سِمَةً بَارِزَةً فِي الْأَفْعَالِ وَالضَّمَائِرِ وَالْحُرُوفِ وَالظَّرُوفِ وَالْمَحْذُوفِ وَالْعِلَاقَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَالْأَلْفَاظِ؛ لِلتَّأْكِيدِ وَإِثْبَاتِ فِكْرَةٍ رَامَهَا الشَّاعِرُ وَهِيَ النَّهْوُضُ وَالْمُوَاجَهَةُ لَا الْهَرَبُ، أَمَّا هُوَ فَقَدْ وَاجَهَ بِالْقَلَمِ وَالْفِعْلِ فَحْبَسَ وَحْبَسَتْ قِرَاءَتُهُ الْآنَ.

وَقَدْ رَسَخَتْ الْآلِيَّاتُ وَالتَّرَاكِيْبُ الْإِتِّسَاقُ وَالْإِنْسِجَامُ بَيْنَ النَّصِّ وَدَلَالَتِهِ مُنْذُ الْمَطَلَعِ إِلَى آخِرِ مَقْطَعٍ فِيهِ، مَعَ تَوْضِيحِ الْمُرُوثِ الدِّينِيِّ وَالتَّارِيخِيِّ فِي تَكْثِيفِ مَا أَضْمَرَ مِنْ مَعَانٍ

التوصيات:

الحَقُّ أَنَّ هَذَا النَّصَّ مَا زَالَ يُخْفِي الْكَثِيرَ مِمَّا آتَى لَنَا، فَأَلْفَاظٌ عَفِيفِي تَوْسُّسُ لِنُوعِ خَاصٍ مِنْ التَّنَاقُضَاتِ الْمُكْتَفَةِ لِلدَّلَالَةِ، لَكِنَّ يُرْجَى الْأَمْرُ إِلَى ظَرْفِ أَرْحَبٍ.

قائمة المصادر والمراجع:

قسم الكتب:

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (1964). تهذيب اللغة (عبد السلام هارون، مُحقق). الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الأستريادي، محمد بن الحسن (1996). سرُّه على الكافية (تحقيق يوسف حسن، ط2). منشورات جامعة قارونوس. بحيري، سعيد (1997). علم لغة النصِّ المفاهيم والاتجاهات. الشركة المصرية العالمية للنشر. بسطاويسي، رمضان (2002). الإبداع والحريَّة، دار الكتب العربية.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر. دلائل الإعجاز (محمود شاكر، محقق). مكتبة الخانجي.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (2012). التبصرة (تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط2). دار السلام.
- أبو خرمة، عمر (2004). نحو النصِّ نقد النظرية... وبناءً أخرى. عالم الكتب الحديث.
- خطابي، محمد (1991). لسانيات النصِّ (مدخل إلى انسجام الخطاب). المركز الثقافي العربي.
- دربالة، فاروق (2005). الموضوع الشعري دراسة تحليلية في الرؤية والتشكيل في الشعر الجديد عند أمل دنقل وعفيفي مطر ومهران السيد ومحمد أبو سنَّة وفاروق شوشة وأحمد سويلم. ايتراك للنشر والتوزيع.
- دي بوجراند، روبرت، ودريسلر، ولفغانغ (1992). مدخل إلى علم لغة النصِّ (إلهام أبو غزالة وعلي حمد، مترجمان). دار الكاتب.
- الزَّاد، الأزهري (1993). نسيج النصِّ بحثٌ في ما يكون به الملفوظ نصًّا. المركز الثقافي العربي.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (1988). الكتاب (تحقيق عبد السلام هارون، ط3). مكتبة الخانجي.
- شبل، عزة (2007). علم لغة النصِّ بين النظرية والتطبيق. مكتبة الآداب.
- شحاتة، محمد (2003). العلاقات النحويَّة وتشكيل الصورة الشعرية عند محمد عفيفي مطر. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- صالح، ضاري (2012). دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي. دار الزمان.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (2001). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (عبد الله التري، محقق). مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية.
- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد (1996). الإيضاح (تحقيق كاظم المرجان، ط2). عالم الكتب.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. العين (تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي). دار ومكتبة الهلال.
- فضل، صلاح (1996). بلاغة الخطاب وعلم النصِّ. الشركة المصرية العالمية للنشر.
- الفقي، صبحي (2000). علم اللغة النَّصيِّ بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكيَّة. دار قباء.
- الفرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (2006). الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السُّنة وآي الفرقان (عبد الله التري ومحمد عرقسوسي، محققان). مؤسسة الرسالة.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. دار صادر.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (محمد محيي الدين، محقق). دار الفكر. ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين (2001). شرح المفضل (إميل يعقوب، واضع هوامشه)، دار الكتب العلمية.

قسم المجلات:

أيوب، نجيب (2017). إعلامية النصّ المُبهم في شعر محمد عفيفي مطر. مجلة كلية دار العلوم في جامعة الفيوم، مج47(ع47).

<https://doi.org/10.21608/mkdaf.2017.150825>

الجبوري، فريال (1984). فيض الدلالة وعموض المعنى في شعر محمد عفيفي مطر. مجلة فصول، مج4(ع3). الجراح، عبد المهدي (2006). نحو النصّ وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي. مجلة دراسات، مج33(ع1). خضر، محمد (2018). الواقعية السحرية قراءة في التشكيل الشعري عند محمد عفيفي مطر. المجلة العلمية بكلية الآداب، (ع33).

<https://doi.org/10.21608/jartf.2018.135348>

عبد الحميد، شاعر (1987). الحلم والكيمياء والكتابة قراءة في ديوان أنت واحدها وهي أعضاؤك انتشرت. مجلة فصول، مج7(ع1+2).

عفيفي، محمد (1966). مذكرات إبريق شعر ودراسة محمد عفيفي مطر. مجلة المعرفة، (ع59).

قرانيا، محمد (1998). ظاهرة اللون في القرآن الكريم. مجلة التراث العربي، مج18(ع70).

قطوس، بسام (2022). تمثلات التسيو في شعر محمد عفيفي مطر. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج18(ع2).

مايابا، مصطفى (2021). مفهوم "التفاعل النصّي" وتطبيقاته على النصّ التقدي الأدبي. مجلة الشارقة، مج18(ع1).

<https://doi.org/10.36394/jhss/18/1A/12>

المبيضين، ماهر (2012). الانزياح في شعر امرئ القيس. مجلة الشارقة، مج9(ع2).

مصلوح، سعد (1991). نحو أجزومية النصّ الشعري دراسة في قصيدة جاهلية. مجلة فصول، مج10(ع1+2).

النجار، فكري (2021). التماسك النصّي وأهميته في تحليل الخطاب القرآني (سورة الفرقان نموذجاً): دراسة نحوية نصية. مجلة الشارقة، مج18(ع1).

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية:

qismu al-kutubi

al'azhariyyu 'abū maṣūrin muḥammadu bnu 'aḥmada (1964). tahdhību al-lughati al-salāmi hārūna muḥaqqiqun al-dāru almiṣriyyatu lil-ta'alifi wa-l-tarjamatu

al-'āstirbādhīyyu muḥammadu bnu alḥasani (1996). sharḥihu 'alā alkāfiyati (yūsufu ḥasanin ṭ manshūrātu jāmi'ati qarīūnsa

baḥīry sa'īdun (1997). 'ilmu lughata al-naṣṣi almafāhīma wa-l-iāttijāhāti al-sharikatu almiṣriyyatu al'ālamīyyatu lil-nashri

baṣṭawīsiyyun ramaḍāna al-'ibdā'u wa-l-ḥurriyyatu dāru al-kutubi al'arabiyyati

- al-jurjāniyyu 'abū bakrin 'abdu al-qāhiri dalā'ilu al-'i'jāzi (محمود) shākirin muḥaqqaqun maktabatu alkhānijiyyi
- abnu al-jawziyyi 'abū alfaraji 'abdu al-Raḥmāni (2012). al-tabṣirati (taḥqīqu muṣṭafā 'abdi al-wāhidi ṭ dāru al-salāmi
- 'abū khurmata 'umara (2004). naḥwu al-naṣṣi naqdu al-naẓariyyati wabinā'u ukhrā 'ālamu alkutubi alḥadīthi
- khaṭṭābiyyin muḥammad (1991). lisāniyyātu al-naṣṣi (مَدَحْل) 'ilā ansijāmi alkhiṭābi almarkazu al-thaqāfiyyu al'arabiyyu
- dirbāla fārwaq (2005). almawḍū'u al-shi'riyyu dirāsatan taḥlīliyyatun fi al-ru'uyati wa-l-tashkīli fi al-shi'ri aljadīdi 'inda 'amal danaqla wa'affi maṭar wamahrān al-sayyidi wamuḥammadi 'abū sana wfārwaq shū'ashta wa'aḥmada sū'aylimin aytirāk lil-nashri wa-l-tawzī'i
- dī bwjrānd rūbrut wdryslr wulfghāngh (1992). madkhalun 'ilā 'ilmi lughati al-naṣṣi (إِلْهَامُ) 'abū ghazālata wa'aliyyu ḥamadin mutarjimāni dāru alkātibi
- al-zinādu al'azhari (1993). nasīju al-naṣṣi baḥṭhun fi mā yakūnu bihi almalfūzu naṣṣan almarkazu al-thaqāfiyyu al'arabiyyu
- sībawayhi 'abū bishrin 'amrū bnu 'uthmāna alkitābu (تَحْقِيقُ) 'abdi al-salāmi hārūna ṭ maktabatu alkhānijiyyi
- shiblun 'azzatu (2007). 'ilmu lughati al-naṣṣi bayna al-naẓariyyati wa-l-taṭbīqi maktabatu al-'ādābi
- shḥāta muḥammadin (2003). al'alāqāti al-naḥwiyyati watashkīlu al-ṣūratī al-shi'riyyati 'inda muḥammadi 'afifiyyi maṭarin alhay'iatu al'āmmatu liquṣūri al-thaqāfati
- ṣāliḥun ḍārī (2012). dalālatu al-lawni fi alqur'āni wa-l-fikri al-ṣūfiyyi dāra al-zamāni
- al-ṭabariyyu 'abū ja'farin muḥammadu bnu jarīrin jāmi'u albayāni 'an ta'awīli āyi alqur'āni (عَبْدُ) Allāhi al-turkiyyu muḥaqqiqun markazu albuḥūthi wa-l-dirāsāti al'arabiyyati wa-l-'islāmiyyati
- alfārisiyyu 'abū 'aliyyin alḥasanu bnu 'aḥmada al'īdāḥu (تَحْقِيقُ) kāzimi almarjāni ṭ 'ālimu alkutubi
- al-furāhidīyyu 'abū 'abdi al-Raḥmāni alkhalīlu bnu 'aḥmada al-'aynu (تَحْقِيقُ) 'ibrāhīma al-sāmari'i'ī wamahdiyyi almakhzūmiyyi dāru wamaktabatu alhilāli
- faḍlun ṣalāḥ (1996). balāghatu alkhiṭābi wa'ilmu al-naṣṣi al-sharikatu almiṣriyyatu al'ālamīyyatu lil-nashri
- alfiqqiyyu ṣabbihī (2000). 'ilmu al-lughati al-naṣṣiyyu bayna al-naẓariyyati wa-l-taṭbīqi dirāsatan taṭbīqiyyatun 'alā al-sū'ari almakiyyati dāru qubā'a
- alqurṭubiyyu 'abū 'abdi Allāhi muḥammadu bnu 'aḥmada (2006). al-jāmi'u li'aḥkāmi alqur'āni wa-l-mubayyinu limā ṭaḍammanahu min al-sunnati wa'āyi alfurqāni (عَبْدُ) Allāhi al-turkiyyu wamuḥammadun 'arqasūsiyyun muḥaqqaqāni mu'uassasatu al-risālati
- abnu manzūrin 'abū alfaḍli jamālu al-dīni lisānu al'arabi dāru ṣādirin

- abnu hishāmin 'abdu Allāhi jamālu al-dīni 'awḍaḥi almasāliki 'ilā 'alfiyyati abni mālikin (مُحَمَّدٌ
muḥyī al-dīni muḥaqqiqun dāru alfikri
- abnu ya'isha 'abū albaqā'i mū'affaḥu al-dīni (2001). sharḥu almufaṣṣali (إِمِيلُ ya'qūba wādī'u
hawāmishihi dāru alkutubi al'ilmīyati
- qīsmu al-majaliti
- 'ayyūbu najībun (2017). 'ilimmayu al-naṣṣi almubhami fī shī'ri muḥammad 'afifiyyi maṭarin
mijallatu kullīyati dāri al'ulūmi fī jāmi'ati al-fayyūmi mj'i
- <https://doi.org/10.21608/mkdaf.2017.150825>
- al-jjabwirruy faryāla (1984). fayḍu al-dalālati waghmuḍu alma'nā fī shī'ri muḥammadi 'afifiyyi
maṭarin mijallatu fuṣūlin mj'a
- aljarrāḥu 'abdi almaḥdiyyi (2006). naḥwu al-naṣṣi wataṭbīqāthu 'alā namādhija fī al-naḥwi
al'arabiyyi mijallatu dirāsātin mj (1ع).
- khaḍīrun muḥammad (2018). alwāqī'iyyatu al-siḥāriyī#ta qirā'atun fī al-tashkīli al-shī'riyyi 'inda
muḥammad 'afifiyyi maṭarin almajallatu al'ilmīyatu bikullīyati al'ādābi (33 ع).
- <https://doi.org/10.21608/jartf.2018.135348>
- 'abdu alḥamīdi shākīrun (1987). alḥilmu wa-l-kīmīyā'u wa-l-kitābatu qirā'atun fī dīūānin 'anta
wāḥiduhā wahiya 'a'ḍā'u'uk antatharat mijallatu fuṣūlin mj'a
- 'afifiyyun muḥammadun (1966). madhakriātu 'ibrīqin shī'run wadirāsatu muḥammadu 'afifiyyi
maṭarin majallatu alma'rīfati (59ع).
- qirāniyyan muḥammadun (1998). zāhiratu al-lawni fī alqur'āni alkarīmi mijallatu al-turāthi
al'arabiyyi mj'i
- qaṭṭūsun bassāmūn (2022). tamatthulātu al-tashayyu'ui fī shī'ri muḥammadi 'afifiyyi maṭarin
almajallatu al'urdunniyyati fī al-lughati al'arabiyyati wa'ādābihā mj'i
- miāyābā muṣṭafā (2021). mafhūmu "التَّفَاعُلُ" al-naṣṣiyyi wataṭbayquāthu 'alā al-naṣṣi al-naqdiyyi
al'ādabiyyi mijallatu al-shāriqati mj'i
- <https://doi.org/10.36394/jhss/18/1A/12>
- almubayyaḍīna māhirun (2012). aliānzīāḥu fī shī'ri amri'i alqaysi mijallatu al-shāriqati mj (2ع).
- maṣlūḥun sa'dun (1991). naḥwu 'ajrūmiyyatin lil-naṣṣi al-shī'riyyi dirāsātun fī qaṣīdatin
jāhiliyyatin mijallatu fuṣūlin mj 'a
- al-najjāru fikriyyun (2021). al-tamāsuku al-naṣṣiyyu wa'ahmiyatuhu fī taḥlīli alkhīṭābi al-qur'āniyyi
(سورة) alfurqāni namūdhajan dirāsātun naḥwiyyatun naṣṣiyyatun mijallatu al-shāriqati mj'i

The Mechanisms of Cohesion and Coherence in the Poem "Kettle Diaries" by Muhammad Afifi Matar

Ayshah Tawfiq Alghawanmeh⁽¹⁾

Abstract:

This study seeks to uncover the mechanisms of cohesion and coherence in the poem "Kettle Diaries" based on the criteria of Text Linguistics developed by Halliday and Ruqaiya Hasan, as well as De Beaugrande and Dressler, using an analytical approach. Combining these frameworks enhances the exploration of the textual evidence and meanings embedded in the poem, while also drawing on some of the foundational principles of the early deconstructive approach. The study is divided into two sections. The first is theoretical, addressing the concept of text linguistics, its emergence and significance, defining its standards, and introducing the poet and the poem's context. The second is practical, revealing the mechanisms of cohesion employed by Afifi Matar at the syntactic level, and coherence at the lexical level, as well as their impact on the reader. The importance of the study lies in the novelty of its subject, as the poem has not previously been examined or interpreted through any methodological framework. Despite some critics' descriptions of the poet's work as linguistically difficult or obscure, the analysis reveals a frequent use of attached pronouns for economy and anaphoric reference to preceding elements, as well as the repetition of particles, adverbs, and lexical items in harmony with the meanings the poet seeks to convey. In addition, the poem establishes a distinctive type of antithetical relationships that ultimately align with the poet's vision.

Keywords: Mohammad Afifi, Kettle Diaries, text linguistics.

(1) Faculty of Arts - Hashemite University (Zarqa - Jordan)

aishaa_ghawanmeh@yahoo.com